روايات أحلام

HARLEQUIN

www.elromancia.com
مرمورية

وحدها مع العدو

آبي غرين

وحدها مع العدو

آبي غرين

كان بين نيكولاس ده روجاس ومادلينا فاسكيز علاقة استطاعا سرقتها بين حقول الأرجنتين ولكن عندما اكتشفت مادي سراً رهيباً عن نيك، رحلت بدون أن تقول كلمة له.

الآن، عادت مادي بعدما ورثت أملاك عائلتها وأصبحت تحت رحمة نيك - وبالتحديد حيث يريدها. فهو بات أحد أهم وأنجح رجال الأعمال، ومادي بحاجة إليه بشكل يائس. والسؤال هل ستوافق مادي على الشرط الذي وضعه مقابل مساعدتها ؟ ليلة واحدة معه لتنهي ما بدأه قبل ثماني سنوات.

لبنان	5000 ل.ل.
الاردن	2.5 دينار
الكويت	1.25 دنس
الامارات	15 درهم
قطر	15 ريال
البحرين	1.5 دينار
السعودية	15 ريال
المغرب	25 درهم
تونس	5 دينار
عمان	1.5 ريال

www.darelfarasha.com
www.ifarasha.com

ISBN: 978-9953-15-580-6

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A
كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

هذه الرواية خيالية وكل الأسماء والشخصيات والأماكن المذكورة فيها
هي من نتاج خيال الكاتب وأي تشابه فيها مع أي شخص حي أو ميت
أو شركة تجارية أو أحداث أو مواقع هو محض صدفة

جميع العلامات التجارية المستعملة في هذه الطبعة باستثناء شعار دار الفراشة،
هي ملك لشركة Harlequin Enterprises Limited
أو شركائها التجاريين وهي تستخدم بترخيص منها

تصميم الغلاف مرخّص له من شركة Harlequin Books S.A.
جميع الحقوق محفوظة

العنوان الأصلي لهذا الكتاب باللغة الإنكليزية
One Night With The Enemy
First published in Great Britain 2012
Copyright © Abby Green 2012

Arabic translation copyright © Dar El-Farasha, 2015

ISBN 987-9953-15-590-6

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
طريق المطار - سنتر زعرور - ص.ب: 11/8254 بيروت - لبنان
هاتف/فاكس: 961-1-450950
Email: info@darelfarasha.com
http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

تعود إليكم «روايات أحلام» بعد غياب أردناه فترة تجدد، كفراشة تعاود الانطلاق من جديد أكثر تألقاً....

تعود إليكم بشكل أكثر أناقة وبقصص أكثر غنى كحلم طال انتظاره، فتجمّع حلماً بعد حلم، قطرة ندى بعد أخرى، لتهدر نهراً من أحلام....

تعود إليكم وفية لأمالكم وتوقعاتكم، الروايات التي لطالما أحببتموها وأخلصتم لها.... روايات أحلام!

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

آبي غرين Abby Green

تعلقت آبي غرين بروايات Mills and Boon العاطفية وهي في سن المراهقة، عندما صدف أن وجدت قصة من قصص جدتها في غرب إيرلندا . بعد عدة سنين من قراءة هذه الروايات الرومانسية بشغف، جلست يوماً وحاولت الكتابة . وبعد عدة محاولات فاشلة اشترت Mills and Boon أول رواية لها.

تعمل آبي غرين بشكل مستقل في مجال كتابة الأفلام والمسلسلات التلفزيونية ولكن بسبب الضغط النفسي الشديد الذي يسببه التعامل مع الممثلين المتعبين والبدء بالعمل باكراً في الساعة الرابعة صباحاً، أخذت تقلل من العمل في هذا المجال وهذا ما ترك لها وقتاً أطول للكتابة.

تحب آبي أن تسمع آراء قراءها. بإمكانكم التواصل معها على موقعها على الانترنت www.abby-green.com. وهي تعمل وتعيش في دبلن.

1 ـ ليست للبيع!

وقفت مادي فاسكيز في الظلال كالهاربة، على بعد ياردات قليلة من افخم فنادق ميندوزا روز الشامخ ببنائه الملكي الرائع مواجهاً البلازا اندبينسيا المهيب.

أكدت لنفسها مرة أخرى أنها ليست بهاربة، وإنما كانت تلملم شتات نفسها. كان بإمكانها رؤية الحشود المتوجهة إلى بهو الفندق، نخبة مجتمع ميندوزا.

كان الوقت يقترب من الليل والأضواء تتلألأ في الأغصان والأشجار القريبة، وكان قائد هذا المشهد الهواء العليل الرائع.

بدا فم مادي الرقيق مقفلاً وحاولت قمع ضربات قلبها المتقطعة، لقد مضى زمن طويل مذ كانت تؤمن بالقصص الخيالية، ولكنها لم تلجأ قط للأوهام حيال أحلامها في الحياة.

لقد كانت مجرد دمية يتم الباسها واستعراضها أمام الناس بالنسبة لوالدتها، أما بالنسبة لوالدها فكانت مذنبة إذ لم تكن تستطيع أن تحل محل الولد الذي فقده.

هزت مادي رأسها، كما لو أن ذلك كان سيحررها من الكآبة المفاجئة التي خيمت عليها، في نفس الوقت الذي لاحظت فيه

www.elromancia.com

وصول عربة فضية من نوع low slung للدرج الرئيسي المؤدي إلى الفندق.

تراجعت بشكل غريزي إلى الوراء أكثر. كانت السيارة قديمة وباهظة الثمن بشكل ملفت. جف فمها وتعرقت يداها، هل من الممكن أن يكون.....؟

فتح موظف الفندق باب السيارة وترجل رجل طويل القامة من مقعد السائق. لقد كان هو.

توقف قلبها عن الخفقان للحظة طويلة.

نيكولاس كريستوبال ده روجاس. أكثر التجار نجاحاً في ميندوزا، وربما في كافة أنحاء الأرجنتين الآن.

تضاعفت أرباح ممتلكات دي روجاس خلال السنوات السابقة في عالم التصنيع الغذائي بمعدل ثلاثة إلى أربعة أضعاف، وحصد الأرباح من كل إنش من مزارعه الشاسعة.

كان يرتدي بدلة توكسيدو رسمية سوداء اللون، وكان بإمكان مادي رؤية ملامحه الرائعة الجمال، والصارمة المغرورة في نفس الوقت بينما ألقى نظرة ملل حوله.

جال بنظره بسرعة على المكان الذي كانت تقف فيه كاللصوص وعندما أشاح بنظره بعيداً عادت دقات قلبها للخفقان مجدداً.

سحبت أنفاسها، وكانت قد نسيت مدى روعة جمال عينيه الزرقاوين، بدا أرق، وأكثر وسامةً وجاذبيةً. لطالما كان من السهل تمييزه بين الحشود بفضل شعره الأشقر الغامق اللون،

وشخصيته الخلابة ومظهره الجميل الذي كان يميزه في أي مكان.

لكنه تميّز بأشياء كثيرة عدا مظهره الجذاب، كتمتعه بالسلطة والقوة والجاذبية.

هنالك حركة اخرى جعلتها تحول نظرها، فقد لمحت امرأة جميلة شقراء طويلة تترجل من طرف السيارة الآخر، بينما كان يساعدها البواب على الترجل من السيارة.

و بينما كانت مادي تراقب الموقف، سارت المرأة لتصل إلى جواره، وكان شعرها الأشقر المنساب كالشلال على ظهرها يلمع كفستانها الطويل البراق المنساب على جسدها بلمسة جميلة مظهراً كل انحناءة من جسدها الجميل.

تأبطت المرأة ذراعه. ولم تتمكن مادي من رؤية النظرة التي تبادلاها، ولكن لم تشك للحظة بمدى جاذبية تلك النظرة التي بدت واضحة من خلال الابتسامة المرسومة على وجه المرأة.

تملك مادي شعور بالانقباض البدني ووضعت يدها على بطنها كرد فعل على ذلك. لا، توسلت نفسها بشكل عقلاني، فهي لا تريده أن يؤثر فيها بهذا الشكل، لم تكن تريده أن يؤثر فيها بأي شكل من الأشكال.

لقد أضاعت العديد من سنوات مراهقتها وهي تحلم به، وتتمناه وترغب به، وتحلم أحلام يقظة عنه.

ونجم عن تلك الأحلام المجنونة تصعيد جديد ومفجع للعداوة القديمة الممتدة عبر أجيال وأجيال. كانت تلك الأحلام القشة التي قصمت ظهر البعير، والتي تسببت بتفكك عائلتها.

لقد أدركت أكثر نزواتها المتوقدة، ولكنها عانت أيضاً من الكوابيس المخيفة جراء البوح بها.

كانت آخر مرة رأت فيها نيكولاس كريستوبال ده روجاس، منذ بضع سنوات في نادٍ في مدينة لندن. تلاقت عيناهما عبر الغرفة المزدحمة، ولم تنس أبداً نظرة الاشمئزاز التي اعتلت وجهه، قبل أن يلتفت ويختفي.

قلصت مادي كتفيها بينما كانت تلتقط أنفاسها وتصلي من أجل أن تتحكم بنفسها. لم تكن تستطيع الاختباء في الظلام طوال الليل. لقد أتت لتخبر نيكولاس كريستوبال ده روجاس بأنها عادت للمدينة ولم يكن لديها النية لبيعه أي شيء. لا الآن ولا إلى الأبد. لقد كانت تمتلك إرث عائلتها، ولن يموت معها، كان عليه أن يعلم ذلك. أو من الممكن أن يضغط عليها كما كان يفعل مع والدها، مستغلاً نقاط ضعفه العاطفية والجسدية ليشجعه على بيع ما يملك لجاره الأكثر نجاحاً.

وبقدر ما كانت تحب الاختباء وراء رسائل محاميها، إلا أنها لم تكن تستطيع دفع أتعابه القانونية. ولم ترد أن يعتقد ده روجاس بأنها خائفة من مواجهته بنفسها.

كانت تعلم أكثر من أي شخص آخر مدى قساوة آل روجاس، ومع ذلك فلقد صدمها الضغط الذي مارسه نيكولاس ده روجاس على رجل مريض. لقد كانت تتوقع هذا التصرف من والد نيكولاس أما أن يصدر عن نيكولاس نفسه، بالرغم من كل شيء، فهذا الذي لم تتوقعه على الإطلاق. لقد خدعها.

رتبت فستانها الأسود الذي ترتديه بيدٍ مرتجفةٍ. الواقع أن ميزانية مادي الضئيلة لم تكن تمكنها من شراء فساتين الحفلات الباهظة.

اليوم يقام حفل عشاء تجار ميندوزا السنوي الراقي، ولم يكن بوسعها حضور هذا الحفل إذ لم تكن ترتدي الثياب المناسبة لهذا الحدث، ولحسن حظها فلقد وجدت أحد فساتين والدتها التي لم يتلفها والدها خلال نوبة غضبه منذ ثماني سنوات.

اعتقدت في البداية بأنه محتشم نوعاً ما، حيث أنه كان فستاناً بياقة عالية من الأمام، ولم تعِ بأنه كان مفتوح الظهر إلى آخر ظهرها، إلا عندما جربته، وأدركت بأن عليها المغادرة سريعاً إلى الحفل قبل أن تغير رأيها بشأن الثوب.

لقد كان الثوب الوحيد الذي لم يحتج إلى إرساله إلى التنظيف، إذ كان مغلفاً بحقيبة بلاستيكية، وبذلك لم يكن لديها خيار آخر إلا هذا الثوب.

تمنت مادي لو كانت أمها أكثر طولاً، وأنحف بقليل. كان طول مادي خمسة أقدام وتسعة انشات، وكان طول الفستان يصل إلى منتصف فخذها مظهراً بذلك الكثير من ساقها الشاحبة.

لقد ورثت عن جدة جدتها الايرلندية، التي قدمت إلى الأرجنتين منذ زمن بعيد مع المهاجرين الايرلنديين وتزوجت من عائلة فاسكيز، خليطاً غير اعتيادي من الشعر الأسود والبشرة الشاحبة والعينين الخضراوين.

شعرت باللفحات الباردة العليلة على جسدها العاري بعد أن خرجت من مخبأها متوجهة نحو الفندق، لقد شعرت بأنها تعرض نفسها بشكل سخيف.

استجمعت كافة قواها التي تحتاجها لهذه المواجهة، وتجاهلت ببسالة النظرات التي كانت تتعرف عليها، وخطت باتجاه البهو الرخامي المترف.

كان نيكولاس كريستوبال ده روجاس يتثاءب فقد كان يعمل على مدار الساعة ليضمن جاهزية قطاف موسمه لهذه السنة سريعاً.

من الممكن أن يحصدوا موسماً رائعاً أو سيئاً بعد هذا الصيف المتقلب. كشر بشكل خفيف.

«هل أنا مملة لهذه الدرجة يا عزيزي؟» أتاه صوت من على يمينه.

أعاد هذا الصوت نيك إلى الغرفة ونظر إلى شريكته، ورمقها بضحكة ساخرة: «أبداً».

ضغطت شريكته بطريقة لعوب على ذراعه قائلة بطريقة مسرحية: «أظن بأن الملل قد تسرب إليك يا عزيزي نيك، عليك الذهاب إلى بيونيس أيرس والاستمتاع قليلاً، لا أعرف كيف تستطيع احتمال هذا الجو» ومن ثم قالت شيئاً حول الذهاب إلى الحمام، واختفت بطريقة متخايلة جذابة.

شعر نيك بالارتياح حيال حصانته لهذا العرض النسائي، وراقب الرجال وهم يراقبونها بينما تتخايل أمامهم. هز رأسه

بحزن وشكر نجوم الحظ لوجود ايستيلا الليلة التي ستبعد عنه أنظار رجال مدينة ميندوزا الليلة ولو بشكل مؤقت، حيث أنه لم يكن في مزاج يسمح له بتسلية السيدة التي استأجرها الليلة لتكون شريكته.

لقد اتهمته حبيبته السابقة بأن لا قلب لديه أو مشاعر بعد أن صرخت في وجهه لمدة ساعة بشكل هيستيري. و لم يكن لديه الرغبة لخوض هذه التجربة مرةً أخرى في الوقت الحالي.

إذا كانت النتيجة من أي علاقة هذا النوع من الشجار فمن الممكن أن يعيش بدون جنس، والحقيقة تقال بأن جميع علاقاته السابقة كانت توصف بالفارغة والتافهة. وكانت مرضية على مستوى واحد فقط. أما بالنسبة لعلاقة طويلة الأمد؟ فبالتأكيد لم تكن لديه النية أو حتى الرغبة في التفكير بذلك.

لقد جعلته العلاقة المسمومة بين والديه يفكر ألف مرة قبل الخوض بعلاقة جدية، وذلك منذ كان أصغر. وحين يختار شريكته المستقبلية سيختارها بعناية وجهد فائقين.

من الطبيعي أن يكون لديه شريكة طويلة الأمد في مرحلة ما في المستقبل، فهو يمتلك ارثاً ضخماً وعليه أن يورثه للجيل القادم، ولم يكن لديه النية في كسر دائرة هذا الإرث.

عندها لاحظ دخول إحداهن من الباب إلى القاعة. وتقلص جلده على عظمه وبدأت رقبته تخزه، تماماً كما شعر في الخارج عندما شعر بأن أحدهم يراقبه.

لم يميز ملامح المرأة، كل ما استطاع تمييزه كان الساقان الشاحبتان والفستان الأسود القصير اللامع الذي كشف عن

جسد نحيل. و لكنه شعر داخلياً بأنه يعرفها فوراً. كان شعرها الأسود منساباً على أحد كتفيها، ومن ثم رأى رأسها يلتفت.

لقد استطاع تمييز إصرارها من المكان الذي يقف فيه ولاحظ بأنها كانت متجهةً مباشرةً نحوه.

شعر نيك بالرغبة بالمغادرة ولكنه ظل واقفاً في مكانه. وبينما كانت تشق طريقها عبر الزحام مقتربة منه بشكل أكبر بدأت الشكوك تراوده. لا يمكن أن تكون هي، أخبر نفسه، لقد مضت سنوات، وهي في لندن.

و لم يع الهمسات والتمتمات من حوله، التي تعالت بينما توقفت المرأة على بعد أقدام منه. تصارع شعوره بالشك واليقين في رأسه، مع شعوره بأنها كانت مذهلة. لطالما كانت جميلة، بشكل أثيري، ولكنها أصبحت أكثر جمالاً منذ آخر مرة رآها فيها.

لقد كانت أشبه بتماثيل آلهة الجمال من حيث جمالها، حيث كانت هيفاء، ورائعة الجمال، بصراحة لقد كانت خلابة.

لم يلاحظ نيك بأنه كان يتمعنها حتى تلاقت عيناهما ولاحظ الاحمرار الذي اعتلى وجنتيها الشاحبتين. وكان لهذا تأثير مباشر على جسده، حيث شعر برغبة حارقة تجتاح جسده.

زال الملل الذي اتهم به قبل بضعة دقائق في الحال، وبدأت تعتريه الكثير من المشاعر والأحاسيس، ولكن الشعور بالخيانة المرة، والإذلال كانت هي المسيطرة.

بعد مرور كل هذه السنوات ما يزال يحجبه عنها جدار من الغضب. ضاقت عيناه والتقتا بعينيها الخضراوين اللتان بدتا

كالجواهر. كان عليه استجماع كل ذرة من سيطرته الحديدية كي لا يعود به الزمن إلى وقت كان يغرق فيه في هاتين العينين، ولكن فات الأوان.

«مادلينا فاسكيز» قالها بهدوء، «ماذا تفعلين هنا بحق السماء؟»

ارتعدت أوصال مادي ولكنها حاولت استرجاع هدوء أعصابها. وتذكرت حين كان يناديها بمادي. شعرت وكأن دخولها من الباب إلى هنا قد استغرق سنوات وليس لحظات، وذلك بفضل حذاء والدتها الكبير الذي لم يكن يساعدها كثيراً.

كانت تعي الهدوء الذي ساد حولهما مع بعض الهمسات التي لم تكن همسات إطراء بالطبع بعد العرض الذي طردت به هي وأمها من قبل والدها منذ ثماني سنوات مضت.

ابتسم نيكولاس ده روجاس بسخرية بينما كان يقول لها: «أرجو تقبل تعازي بوفاة والدك»

اعترى مادي شعور بالغضب الجامح وهمست له: «دعنا لا ندعي بأنك تهتم ولو لذرة»

ولم تهتم للآذان التي كانت تسترق السمع لهما، ولم يكن نيكولاس ده روجاس يهتم بالحشود التي تستمع إليهما أيضاً. ولكن شعور مادي بالغضب والحزن لموت والدها جعلها تشعر بالاختناق.

طوى نيك يديه على صدره الرائع بشكل مرعب. بدأت مادي تشعر بظهرها يحكها من الطرف المكشوف من ظهرها، وكانت يداها على طرف جسدها مثبتتين.

www.elromancia.com

أجاب نيك بشكل لا مبال: «لا لا يمكنني القول بأنني أهتم، ولكن بإمكاني أن أكون مهذباً على الأقل»

تـوردت مـادي لقولـه ذلك، لقد شـاهدت فـي الصحف أن والده قد توفي منذ سنوات خلت. فكلاهما نتاج جيلين يكرهان بعضهما لدرجة الرقص لموت أحد من عائلة الآخر، ولكنها لم تكن كذلك، حتى لو كان الميت عدواً لها.

قالت له بطريقة مخلصة ولكن مترددة نوعاً ما: «و أنا آسـفة لموت والدك أيضاً».

تقوس حاجبـه، وأصبح وجهه أكثر صلابة: «هل سـتعزينني بوالدتـي أيضـاً؟ لقد قتلت نفسـها عندما اكتشـفت العلاقة التي دامـت لسـنوات بيـن والدتك ووالـدي، بعد أن أخبرهـا والدك بذلك».

شحبت مادي جراء معرفة نيكولاس لهذه العلاقة. ولاحظت في تلك اللحظة كمية الغضب المخفية تحت قناع التحضر الذي يلبسه، بينما لمعت عيناه بغضب وخطر، وظهرت خطوط التوتر البيضاء حول فمه المثير.

شعرت بالتشـوش، وهزت رأسها. لم يكن لديها أدنى فكرة أن والدها قد أخبر والدته بهذه العلاقة، أو أنها قد انتحرت.

ـ لم يكن لدي أدنى فكرة عن هذا...

أوقفهـا عـن التكلم بحركـة من يـده: «لم يكـن لديك أدنى فكـرة، أليس كذلك؟ لقد غادرت مسـرعة لتنفقـي ثروة عائلتك بأكملها بينما تتجولين في أنحاء أوروبا بعد فقدانك لوالدتك»

شعرت مادي بالإعياء، لقد كان هذا أسوأ بكثير مما حسبت،

لقـد تخيلـت بشـكل سـاذج بأنهـا سـتقول لـه كلماتهـا القليلة. وسـيجيبها بطريقـة حضارية على الأقـل، وسـينتهي الموضوع. ولكـن مـا زال العداء القائـم بيـن عائلتيهما حياً، يفـرق بينهما، بالإضافة إلى شيء آخر لم ترد مادي الاعتراف به..

القـى نيكـولاس ده روجاس فجـأة نظرة من حولـه، وتلفظ بشتيمة. وأمسك بذراع مادي بيده الكبيرة، ثم سحبها بسرعة إلى الطرف الآخر من الغرفة قبل أن تلاحظ ما كان يحدث.

أدارها بسرعة مرةً أخرى لتواجهه في زاوية هادئة. زالت كل معالم التحضر من وجهه هذه المرة، وكانت تعابير وجهه صارمةً ومليئةً بالحقد والغضب.

جذبت مادي نفسـها بعنف لتحرر نفسـها من قبضته وفركت يدها مصممة على عدم إظهار مدى خوفها له.

ـ كيف تجرؤ على معاملتي كالطفل المتمرد؟

ـ لقد سـألتك سـابقاً، ما الذي أتى بك إلى هنا يا فاسـكيز؟ أنت لست مرحباً بك هنا.

شعرت مادي بالغضب بسبب غروره وتذكرت سبب وجودها هنـا، والخطـر المحدق بمـورد عيشـها بأكمله. تقدمـت للأمام بطريقة تجعله يفلت يدها: «المعلوماتك، أنا مرحب بي هنا تماماً مثلك، ولقد أتيت لأخبرك بأن أبي لم يستجب لضغوطاتك عليه لبيع الأراضي وكذلك أنا لن أفعل».

قـال لهـا نيكـولاس ده روجـاس بسـخرية وتهكم: «الشـيء الوحيد الذي تمتلكينه الآن هو قطعة من الأرض العديمة الفائدة. إنه شيء قبيح فعلاً، فأرضك لم تنتج أي شيء جيد منذ أعوام»

www.elromancia.com

أخفت مادي ألمها لمعرفتها حقيقة تخلي والدها عن كل هذا وردت عليه قائلةً: «لقد ضغطت عليه أنت ووالدك بشدة حتى أخرجتموه من السوق، ولم يعد بإمكانه منافستكم»

أطبق فكه لقولها ذلك وقال لها بطريقة وحشية: «لم يكن هذا بالشيء الذي يذكر حيال ما تم فعله بنا المرة تلو الأخرى. أود إخبارك بأننا أمضينا وقتنا ونحن نخترع الطرق لتدمير عملكم، ولكن منتجات فاسكيز لم تتوقف عن البيع بسبب مخططاتنا إنما بسبب رداءة نوعيتها.. أنتم من تسبب بهذا لأنفسكم وبدون أدنى مساعدة منا».

كانت كلماته واقعية بدرجة مخيفة، مما جعلها تتراجع إلى الوراء خوفاً من وحشيته. رأت عيناه تلمعان بغضب. لكن ردة فعلها بسبب التقارب الحاصل بينهما وأثره على جسدها وعلى ذكرياتها وليس بسبب غضبه.

لم تستطع إيقاف نفسها عن تذكر اللحظات التي كانت تضغط بجسدها عليه وكانت تشعر بكل وتر مشدود وعضلة في جسده. لقد كان هذا الشعور مبهجاً وممتعاً.

ـ ها أنت ذا هنا!

صرخ نيك بوجه المرأة التي أتت ناحيتهما: «ليس الآن ايستيلا».

شكرت مادي المرأة بصمت على مقاطعتها ورمقتها بنظرة سريعة لترى هذه الجميلة الشقراء التي كانت ترافق نيكولاس خارج الفندق. تراجعت إلى الوراء ولكن أمسك نيكولاس يدها مرةً أخرى.

«انتظريني عند الطاولة يا ايستيلا» قال نيكولاس.

جالت المرأة بنظرها بينه وبين مادي بعينيها الكبيرتين، وصفرت بنعومة قبل أن تتركهما وهي تهز برأسها.

فكرت مادي كم أن هذه المرأة منصاعة لنيكولاس كحبيبة، وبينما كانت تفكر بهذا ثبتها نيكولاس ووضع يديه على ذراعيها. حررت نفسها مرةً أخرى بغضب، وهي تشعر بالضعف بسبب الذكريات الحية التي اجتاحتها. كانت تعي بالكاد أن ثوبها قد انزلق عن كتفها بينما كانت تخلص نفسها منه، ورأت عيني نيكولاس وهما تختلسان النظر للحظة قبل أن تشتعل شعلة الرغبة في عينيه الزرقاوين.

تكلمت مادي بسرعة لتمنع نفسها من الاستجابة لتلك النظرة، التي لا بد أنها قد تخيلتها. لم يكن هذا الرجل يشعر بشيء تجاهها سوى الحقد والكره وحسب.

ـ لقد أتيت لأخبرك بأنني عدت ولن أبيع أرض فاسكيز. وحتى لو كنت سأبيعها فلن أبيعها لفرد من أفراد عائلة ده روجاس. هل تعتقد بعد كل الذي مررنا به بأنني سأفعل هذا؟ لا لن أفعل، فأنا أفضل حرقها على ذلك، وليكن بعلمك، أنا أنوي أن أعيد أرض فاسكيز لسابق تألقها ومجدها وروعتها.

وقف نيكولاس بشموخ ومن ثم أطلق ضحكة مجنونة، بحيث أرجع رأسه إلى الوراء مظهراً مدى قوة عضلات حلقه. وعندما عاد للنظر إلى الأسفل، شعرت مادي بالضعف يجتاح الجزء الأسفل من جسدها، وبحرارة مزعجة.

هز رأسه وقال: «لا بد أنك قد مثلت الدور على والدك قبل

www.elromancia.com

أن يموت لتجعليه يترك هذه الأرض لك. فبعد أن غادرت أنت ووالدتك وسمع الناس بالعلاقة، لم يكن أحد يتوقع رؤية أي واحدة منكما هنا مرةً أخرى، أعتقد بأن الناس كانوا يعتقدون بأنه سيترك الأرض لكلبٍ ما على أن يتركها لإحداكما»

انقبضت يدا مادي، وشعرت بالألم يعتصرها عندما تذكرت ذلك الوقت العصيب ومدى الغضب الذي اجتاح والدها، وكان محقاً بذلك. قالت له: «ليس لديك أدنى فكرة عما تتكلم»

بدا وكأنه لم يسمعها، ومع ذلك تابع حديثه: «لقد كان معروفاً بأن والدك لم يكن يملك فلساً واحداً عند موته. هل يمولك زوج والدتك السويسري الآن؟ أو ربما تدبرت لنفسك زوجاً ثرياً؟ هل وجدت أحداً في لندن؟ فلقد كنت ترتادين النوادي المناسبة لملاقاة مثل هذا الشخص في آخر مرة رأيتك فيها»

انتابت مادي موجة من الغضب العارم، وشعرت بالألم يعتصرها حتى أن يديها انقبضتا بشكل أكبر: «كلا أمي لا تمدني بالمال، وليس لدي زوج ثري، ولا صديق ولا حتى حبيب، وهذا ليس من شأنك»

اعتلت وجه نيك نظرة من السخرية والصدمة قائلاً لها: «هل تنوين إخباري بأن أميرة فاسكيز المدللة قد عادت إلى البلدة وباستطاعتها تحويل الأرض القفرة والمفلسة إلى سابق عهدها بدون الاستعانة بخبير؟ هل أضحت هذه هوايتك الجديدة بعد أن أصبح التسكع في اليخوت المترفة عادةً مملةً بالنسبة لك؟»

شعرت مادي بالغضب الشديد يعتريها، لم يكن لديه أدنى

فكرة كم قاتلت بكد لتثبت لأبيها مدى جدارتها بهذا العمل فهي قديرة كأي رجل، وقديرة حتى كأخيها الميت. ولكن لم يكن لديها هذه الفرصة الآن لأن والدها قد توفي أيضاً. ولن تدع هذا الإرث الذي ورثته يموت معها. كان عليها أن تثبت بأنها تستطيع القيام بهذا العمل، ولن تدع أي رجل يقف في طريقها كما فعل والدها.

قالت بنبرة عاطفية: «هذا تماماً ما أقوله لك يا ده روجاس، لا تتوقع أن ترى لافتة «للبيع» على أرض فاسكيز أبداً».

بينما كانت مادي تتراجع إلى الوراء كانت تتمنى لو أنها لم تعطه الفرصة لرؤية ظهرها العاري. قال لها بتحدٍ: «سأعطيك مهلة أسبوعين قبل أن تجري وأنت تصرخين، إذ ليس لديك أدنى فكرة عن إدارة تجارة ناجحة. فأنت لم تترعرعي وأنت تعملين في البساتين. لقد مضت سنوات طويلة مذ أنتجت مزرعة فاسكيز منتجاً زراعياً جديراً بالشراء أو التذوق، وكان والدك يبالغ في وضع الأسعار للمنتجات التي ينتجها. أنت غارقة حتى رأسك يا فاسكيز، وعندما تدركين ذلك لن أهتم بالسعر الذي ستطلبينه مقابل أرضك، لأنني سأدفعه مهما كان. وعندئذ سأنعم بمعرفة أن عائلتك لم يعد لديها شيء هنا، وبأن لا أحد منكم سيعود إليها أبداً».

أخفت مادي شعورها بالألم، لقد علم بأنها لم تعمل في حياتها في الزراعة لأنها أخبرته بذلك، ولقد كان هذا سراً بينهما، وها هو يستعمله ضدها الآن.

اقترب منها وقال لها بتحدٍ: «كما ترين، في النهاية، ستصبح

هذه الأرض جزءاً من أراضي ده روجاس، وبإنكارك لهذا فأنت تطيلين فترة عذابك. فكري فقط... بإمكانك العودة إلى لندن في غضون أسبوع، وأنت تجلسين في الصف الأمامي من عروض الأزياء ومعك كمية كبيرة من المال التي ستمكنك من العيش برغدٍ لفترة طويلة من الزمن. سأحرص على أن تكوني راضية بالمبلغ الذي سأدفعه كي لا تعودي إلى هنا أبداً».

هزت مادي رأسها وحاولت كبح الشعور الذي اعتراها بالتراجع عن هذا. لقد جرحتها كراهية هذا الرجل لها، جرحتها أكثر مما يجب. وهذا ما أرعبها كثيراً.

لم تستطع التحكم بنبرة صوتها الحزينة: «هذه بلدتي بقدر ما هي بلدتك، وعليك أن تحملني جثة ميتة قبل أن تجعلني أغادر هذه البلدة»

كانت مادي تعي بمرارة حقيقة كلامه بالرغم من محاولتها التأكيد على عكس كلامه. عدا عن فكرته عن حياتها التي لم يكن لديه أدنى فكرة عنها، والتي لم تكن تنوي كشفها له.

تراجعت أكثر وقالت: «لا تقترب من أراضي ده روجاس، أنت أو أي أحد من طرفك، فأنت ليس مرحباً بك»

ابتسم بسخرية: «أنا معجب بتمثيلك يا فاسكيز، وأتطلع بشوقٍ لأرى لكم من الوقت تستطيعين لعب هذا الدور»

أبعدت مادي نظرها عنه وابتعدت عنه، وكادت تتعثر بحذائها الكبير.

صرت على أسنانها، وصلت بصمت طوال الطريق إلى

الباب بأن تظل محافظة على كرامتها وأن لا تتعثر بحذائها الكبير وتفقده أمام ده روجاس المتكبر وأمام هذه الحشود الساخرة.

رفعت مادي رأسها عالياً، ولم تفقد سيطرتها على نفسها حتى وصلت إلى موقف السيارات حيث كانت سيارة والدها الجيب المغلقة بانتظارها هناك. وما إن دخلت السيارة وأغلقت على نفسها حتى انخرطت في موجة بكاء هيستيرية لبضع دقائق.

الحقيقة المرة أن كلام نيك كان صحيحاً، ولم يكن لديها شيء لتخفيه في محاولتها إعادة إحياء أرض فاسكيز. ولكنها ستندم باقي حياتها إذا لم تحاول ذلك. لقد قدم لها والدها تعويضاً طويل الأمد عن الأيام التي افترقا فيها، وبا لرغم من أنه قد أتى متأخراً، إلا أن مادي كان لديها دوماً الأمل بأن والدها سيتكلم معها ويطلب منها العودة، وكانت ستعود منذ سنوا ت طويلة لو أنه طلب منها ذلك، لأنها كانت دوماً تحلم بالعمل في الأرض. وعندما وصلتها الرسالة المؤلمة من والدها المريض والذي عبر فيها عن أسفه وندمه على ما فعله بها، لم تستطع مادي إلا تلبية طلبه بالعودة إلى المدينة لمحاولة إنقاذ أرضهم من الضياع.

لم تكن علاقة مادي بوالدها تندرج تحت إطار العلاقة الجيدة أو المقربة، لطالما أوضح لها بأنه كان يريد أبناءً وليس ابنةً، وكان يعتقد بأن مكان المرأة في البيت وليس في مجال صناعة الغذاء. ولكنه عوّض عن هذه الفترة كلها بينما كان على فراش الموت، عندما أدرك بأنه من الممكن أن يخسر كل شيء.

كانت مادي تأمل وتدعو ربها أن تصل إلى البيت في الوقت المناسب لتراه ولكنه توفي بينما كانت على وشك الإقلاع إلى بيونيس ايريس، صعقها المحامي بالخبر عندما وصلت واتجهت مباشرةً من مطار ميندوزا إلى جنازته الخاصة التي أقيمت في مقبرة العائلة الصغيرة على أرضهم.

و لم تتمكن حتى من الاتصال بوالدتها التي كانت على متن رحلة بحرية مع زوجها الرابع الذي كان يصغرها بعشر سنوات. شعرت بالوحدة الشديدة عند مقابلتها لنيكولاس ده روجاس وحفده الكبير.

كانت الأسطورة تقول بأن أسلاف مادي ونيكولاس ده روجاس الإسبانيين كانا صديقين مهاجرين قطعا الرحلة إلى الأرجنتين ليبدآ حياةً جديدةً لأنفسهما، وتعهدا بالعمل سوياً. ولكن حدث شيء ما، إذ ظهرت سيدة في الصورة، وكان هناك علاقة وخيانة. ورداً على هذا توعد جد جد مادي بالانتقام عن طريق تحطيم اسم ده روجاس، ولذلك استقل بعمله في الزراعة وأخذ ينافس ده روجاس، واشترى أرضاً بالقرب من أرض ده روجاس.

نجح جدها كثيراً فيما روجاس لم يصب أي نجاح، وبذلك أصبح العداء والكره بين العائلتين أعمق وأكبر، بسبب العداوة بين كل جيل من الأجيال لاستعادة السيطرة على السوق والانتقام من خصمه.

أصبح العنف بين العائلتين عادياً، لدرجة وصل إلى عملية قتل فردٍ من أفراد أسرة ده روجاس، بالرغم من عدم إثبات التهمة على عائلة فاسكيز.

كانت الكفة ترجح لصالح أحد العائلتين خلال السنوات ولكن عند مولد مادي كانت كفة الميزان متساوية بين العائلتين على صعيد نجاحهما، وبدا أن الكراهية الطويلة الأمد بين العائلتين قد وصلت إلى هدنة مرتبكة. فبالرغم من السلام النسبي، فلقد ترعرعت مادي وهي تعرف بأنها ستعاقب إذا ما تم الإمساك بها حتى ولو كانت تختلس النظر إلى بساتين ده روجاس.

احمرت وجنتاها الآن بينما كانت تتذكر كيف كان نيكولاس يسخر منها وهو يدعوها بالأميرة. لم يكن يراها إلا في المناسبات الاجتماعية حيث كانت عائلتاهما تجبران على الالتقاء، وكان أصحاب الدعوة يؤكدون بعصبية بأنهم لم يكونوا يختلطون مع بعضهم البعض.

كانت والدتها تستغل هذه المناسبات لاستعراض مادي بأحدث الأزياء، مجبرة ابنتها ذات الطبيعة الصبيانية والمحبة للكتب على التحول إلى الفتاة المحبة للموضة التي لطالما أرادت الحصول عليها. لقد أرادت والدة مادي الجميلة صديقةً حميمة وليس طفلة.

لم تشعر مادي بالارتياح في هذه المناسبات وكانت تحاول جهدها أن تختفي في الحديقة، وفي نفس الوقت كانت تعي للغاية الشيء المحرم الذي كانت ترتكبه عندما كانت تفكر بنيكولاس كريستابول ده روجاس الذي يكبرها بستة أعوام، والذي كان يتمتع بغرور ورجولة واضحين حتى عندما كان مراهقاً. وحقيقة العداء والكراهية بين عائلتيهما لم تجعله إلا أكثر إغراءً وجاذبيةً بالنسبة لها.

تم إرسالها إلى مدرسة داخلية في انجلترة عندما أصبحت في الثانية عشرة من عمرها، وكانت تعود للمنزل فقط في العطلات. لقد كانت تعيش هذه الأشهر المعدودة تتحمل إصرار أمها على استعراضها كما لو كانت دميةً فقط وكانت تتمكن من اختلاس بضع نظرات إلى نيكولاس ده روجاس في مباريات البولو السنوية، أو القليل من المناسبات الأخرى التي كانت تتواجد فيها عائلتيهما.

كانت تنظر إلى الخارج من نافذة غرفة نومها وتراه على صهوة جواده وهو يتفقد الكروم المحيطة بهم، كان بالنسبة لها كإله ذي شعر أشقر قوي وشامخ.

كلما رأته في المناسبات الاجتماعية كانت تراه محاطاً بالجميلات. التوى فمها عندما تذكرت الفتاة الشقراء الجميلة التي صرفها للتو، على ما يبدو لم يتغير شيء على الإطلاق.

انفجرت الهدنة الهشة بين عائلتيهما منذ ثماني سنوات مظهرة لمادي كمية الحقد بين العائلتين. وكان عليها أن تنسى حقيقة تحديها لنيكولاس حول فكرته عنها وصمودها لمدة أيام.

هزت مادي رأسها وأجبرت نفسها على إدارة السيارة، كان لديها وقود يكفيها للوصول إلى مدينة فيلاروزا التي تبعد 30 دقيقة عن ميندوزا. لا شك بأن لدى نيكولاس جناح محجوز في فندق بالاتيل الليلة ليتشاركه مع شريكته الشقراء الطويلة. بنيما لم يكن لدى مادي مكان تذهب إليه سوى منزل قديم مقطوع عنه التيار الكهربائي منذ أشهر مضت ولكنها كانت

تعتمد هي وخادمتها النحيلة على مولد قديم للحصول على الكهرباء.

خرجت من موقف السيارات وهي تتخيل بيأس بأنه سيكون هناك الكثير من أسلاف ده روجاس الذين يضحكون على ورطتها الآن.

www.elromancia.com

2 - جرح السنوات الثمانية

غاب نيك في أفكاره، فكل ما كان يراه في عيون عقله هو ظهرها الواسع الشاحب العاري وشعرها الاسود المتأرجح على بشرتها، بشرة ماداليا فاسكيز وهي تمشي مبتعدة. تعثرت قليلاً في حذائها وهذا ما جعلها تبدو للحظة هشة بشكل مؤلم ولكنها لم تلبث أن أصلحت مشيتها من جديد ومضت خارجة من القاعة بكل شموخ الأميرات. ولكن لا يحق لها أبداً أن تبدو بنظره «أميرة» بعدما فعلته.

عندما كانت أصغر بكثير، كانت تذكره بلعبة هشة من البورسلان، وهو يكره الآن أن يعترف بذلك ولكنها تسحره دائماً بلونها الشاحب الفريد وبعينيها الخضراوين. كان هناك لحظات، اعتقد فيها أنها غير مرتاحة في بيئتها الاجتماعية وكانت تبدو مشمئزة منزعجة وكأن أمها تدفعها دفعاً إلى هذا المجتمع. لقد شعر أن تحت تلك الحساسية الخارجية شيئاً صلباً.

قسا فم نيك للذكرى. حسناً لقد جرب بنفسه مدى القسوة القابعة تحت هذا الجمال السماوي البالغ الرقة، وكأن هناك

حاجة ليتذكر الشخص الذي هي عليه. لقد حاولت مرة أن تتحدى تحامله عليها ولكن كل ذلك كان تمثيلاً بتمثيل.

إنها تشارك أمها بفن الإغواء، وبشهوانية قادرة على إيقاع أقوى الرجال في شراكها. خفق قلبه بقوة. لقد وقع أبوه في الشرك من قبل ومن ثم وقع هو نفسه. كانت في السابعة عشرة فقط من العمر. شعر بالمذلة تحرقه لمجرد تذكره ذلك ولكنه لم يستطع أن يوقف مدّ الذكريات، ليس بعدما رآها الآن وجهاً لوجه بشحمها ولحمها، للمرة الأولى منذ سنوات.

في إحدى الأمسيات كان يعاين كروم العنب القريبة من أملاك فاسكيز. في تلك الليلة بالذات كان نيك قلقاً ومحبطاً من أمه الدائمة الاكتئاب ومن قسوة أبيه وعنفه المعتاد. وقت العشاء أخذ ابوه يتحدث بصخب عن نجاح آل فاسكيز ومدى تهديد نجاحهم عليه. كان نيك يعتقد بقوة أن الشخص نفسه هو من يصنع نجاحه ولكنه بسبب تسلط أبيه، لم يكن قادراً على تحقيق أفكاره.

تلك الليلة دفعه شيء ما إلى النظر إلى التلة الصغيرة التي كانت أشبه بحد طبيعي فاصل ما بين أملاكهم وأملاك فاسكيز وهناك رأى امرأة ذات شعر اسود طويل... ماداليا فاسكيز. تنظر إليه مباشرة.

سأمه وتعبه تحولا إلى غضب حارق غير منطقي عليها لأنها جعلته يفكر فيها ويتساءل عنها في وقت هي بالنسبة إليه شيء محرم. وكانت تمثّل أيضاً الثأر الأسود الذي لم يستطع قط أن يفهمه.

الصورة المتكبرة التي تمثلها وهي على جوادها حفزته أكثر وجعلته يندفع بشكل قاهر لم يستطع مقاومته. وكز نيك فرسه بمهمازه وتوجه نحوها مباشرة ولكنه وجدها تستدير وتختفي.

ما يزال يشعر حتى الآن بطعم الغليان الذي كان يجري في دمه وهو يحاول اللحاق بها ورؤيتها عن قرب. فلم يُسمح لهما قط أن يتكلما مع بعض. مع العلم أنه كان يرى الطريقة التي كانت تنظر فيها إليه عن بعد بخجل.

أخيراً التقط نظرتها التي اختلستها إليه وهي على صهوة جوادها. لقد كان جوادها يركض بسرعة الريح. ازداد اندفاعه القاهر ولحق بها كالبرق، وعندما كادت تقترب من نهاية أملاكهم رآها أخيراً تنزل عن جوادها وتربطه إلى شجرة. لقد وصلت إلى جزء بعيد ناء من البساتين المزروعة. وعندئذ رآها تقف أمام الشجرات وكأنها تعرف أنه يلحق بها.

سحرته وسلبت روحه بوجنتيها المتوردتين وشعرها المنسدل أكثر مما كان قادراً على الاعتراف به. ترجل نيك عن جواده ووقف أمامها. في تلك اللحظة ذاب غضبه كالثلج على صخرة حارة، والشعور بأنه يرتكب محرماً جعل الهواء حولها يتبخر.

ـ لماذا تبعتني؟

سالته فجأة وكان صوتها أجش ومبحوحاً.

ردّ نيك بدون أن يفكر: «ربما أردت أن أرى أميرة فاسكيز عن قرب»

في تلك اللحظة أصبحت شاحبة كالشبح وبدت عيناها كزمردتين مجروحتين.

أخذت تتراجع ولكن نيك مد يده وقال مسرعاً: «لا، انتظري. لا أعرف لماذا قلت ذلك.. أنا آسف»

سحب نفساً عميقاً ثم أضاف: «تبعتك لأنني أردت ذلك ولأنني أظنك تريدين ذلك أيضاً»

احمر وجهها ووصل اللون الوردي إلى وجنتيها.. وبدون أن يعي وجد نفسه يلمس برقة خدها، مسحوراً بالطريقة التي ظهرت فيها عواطفها ومشاعرها تحت ملمس راحة يده. اجتاحه شوق عميق وكان شوقه من العمق بحيث شعر بالصدمة.

تراجعت إلى الوراء ووهي تعض شفتها ونظرة عذاب ترتسم على وجهها: «لا ينبغي أن نكون هنا.. إذا رآنا أحد...»

رأى نيك رجفة تجتاح جسمها الرقيق، الجميل. وشعر بقلبه يخفق.

حاول أن يكبح الموجات الحارة التي تجتاحه. ورمته بنظرة تحد أكدت شكه بأنها لم تكن هشة وحساسة كما كانت تبدو عليه.

ـ أنا لست أميرة. أنا لست كذلك أبداً. أكره أن يتم استعراضي أمام الناس وكأنني عارضة أزياء. إنها أمي وهي تتمنى لو كنت مثلها. إنهم لا يتركونني أخرج راكبة جوادي بدون أن يراقبوني، ولكنني أتسلل هاربة عندما يكونون مشغولين.

رأى نيك نظرتها تهبط إلى شفتيه فعاد التورد إلى وجنتيها من جديد. أما هو فاكتسحت القوة والتستسترون جسمه وضحك بامتعاض: «لقد قضيت كل أوقاتي فعلياًعلى ظهر الجواد، أعمل في البساتين»

www.elromancia.com

رفعت نظرها إليه ولكن ليس قبل أن تعذبه بنظرة بريئة جائعة إلى فمه.

قالت: «هذا كل ما رغبت فيه دائماً. ولكن بعد موت أخي، وجدني أبي يوماً أساعد في القطاف فأرسلني إلى البيت. وقال لي إنه إذا وجدني هناك ثانية فسيضربني بحزامه»

أجفلته كلماتها وانقبضت معدته. فهو يعرف جيداً ما تكون عليه ثورة غضب الوالد. قال لها: «لقد مات أخوك منذ سنين، أليس كذلك؟»

أشاحت ماداليناً وجهها وبلعت ريقها بألم قبل أن تجيب: «مات في حادث وهو في الثالثة عشرة من العمر»

- آسف. كنتما مقربين من بعضكما؟

عادت تنظر إليه وعيناها تبرقان بريبة: «كنت أعبده. أبي شخص غضوب جداً. في أحد الأيام كان أبي يهمّ بضربي ولكن ألفارو خطا إلى الأمام وتلقى هو الضربة. كان في التاسعة من العمر وقتذاك»

اغرورقت عيناها بالدموع فاعتصر الألم قلبه واندفع إليها بشكل غريزي فسحبها يضم جسدها النحيف إليه. لقد كانت الحاجة إلى إراحتها أقوى منه علماً أن ذلك تصرف غريب من شخص مثله، يساعد الناس إنما عن بعد.

إنها شخص غريب بالكامل بالنسبة له ولكن في تلك اللحظة شعر بقرابة عميقة بينهما. بعد لحظات طويلة، سحبت نفسها ولكنه تركها رغماً عنه.

قالت بصوت مرتجف: «ينبغي أن أذهب... سيبدؤون بالبحث عني»

ارتدت على عقبيها ولكن نيك وصل إليها وأمسك بذراعها وهو يشعر في قلبه بالقنوط. نظرت إليه فقال لها: «انتظري.. قابليني هنا غداً»

بدا أن العالم توقف عن الدوران للحظة أبدية. ولكن وجنتي ماداليناً احمرتا من جديد وهي تقول بصوت أجش: «أحب ذلك»

بقيا يلتقيان مدة أسبوع، يسرقان اللحظات في ذاك المكان السري حيث كان الوقت يمضي بسرعة وحيث كانت الروادع تتهاوى. حدثها نيك بأشياء لم يسبق أن أخبرها لأحد أبداً وكان يحدثها بسهولة وكأنه لم يختبر قط سنوات من الانعزال العاطفي. وفي كل يوم كان يشعر بأنه يتعلق بها أكثر وبأن كيانه يذوب أمام جمالها الحساس الذي يجعل رغبته فيها تكبر وتكبر، ولكنه مع ذلك استطاع أن يتحكم بنفسه وأن يمتنع عن لمسها.

لقد أخافه عمق حاجته إليها وتلك الرغبة الجامحة تنامت بينهما بشكل هائل في ذاك اليوم الأخير. عندما وصل نيك ووجد مادي بانتظاره، لم يتكلم ولم تتكلم أيضاً. الهواء حولهما تذبذب وارتعش وما هي إلا لحظة حتى كانت بين ذراعيه، حتى قبل أن يمد يديه ليجذبها إليه.

تعلقت به وكأنها على وشك أن تغرق، اما هو فأغرق يده في شعرها الذي بدا كالحرير. وشعر بساقيها ترتجفان فأمسكها

www.elromancia.com

ومدها على العشب الندي معه. غمرته حرارة مشاعره بحيث ارتجفت يده وهو يمدها إلى جسدها.

كان شاباً بدون خبرة ولكنه شعر في تلك اللحظة بالعكس، فقد استلقت أمامه ونظرت إليه من تحت أهداب سوداء. في تلك اللحظة شعر بأنه ضاع نهائياً

أسكره وجوده معها وأطاح بعقله وهو يشعر بملمسها كالحرير وهي أيضاً كانت ضائعة فيه بحيث لم تسمع أي شيء حتى شعرت به يتوتر.

نظر كلاهما في تلك اللحظة فرأيا وجوهاً متجهمة على ظهر الحصان، تنظر إليهما. اصبح كل شيء فجأة ضبابياً ونيك يحاول أن يغطيها فوقفت هي وراء ظهره. ومن ثم تمّ سوقهما معاً خارج مكانهما السري وأعادوهما إلى البيت.

«أهلاً بعودتك إلى عالم الأرض»

أجفل نيك وكأنها لدغته فنظر إلى أستيلا التي كانت تحدق فيه.

كانت تحمل في يديها كوبين من الشراب. قدمت أحدهما إليه: «خذ هذا الشراب إذ يبدو أنك بحاجة ماسة إليه»

شعر وكأنه مكشوف بشكل كبير ولكنه خبّأ مشاعره وتناول الشراب منها ضابطاً نفسه وتجرعه دفعة واحدة.

ـ إذن أهي فرد من أفراد عائلة فاسكيز؟ظننت أنني بحاجة إلى رشكما بخرطوم الماء لأهدئ ما يدور بينكما.

ـ هذه هي آخر أفراد عائلة فاسكيز. وقد جاءت لتنهي أعمال الأسرة.

أراد نيك أن يخلص نفسه من قوة تلك الصور المطبوعة في رأسه.

قالت أستيلا بصوت أبعد ما يكون عن البريء: «هذا مثير للاهتمام... فأنت آخر فرد في عائلتك»

تجهم وجه نيك: «الشيء الوحيد المثير للاهتمام هو أنها ستكون مجبرة على بيع أملاكها لي أنا. وأخيراً ستتخلص من عائلة فاسكيز إلى الأبد»

قال كلماته ومشى مبتعداً عن نظراتها المشككة فآخر شيء يريده نيك الآن هو شخص يحلل مواجهته مع مادالينا فاسكيز. وكلما أدركت مادالينا أن جهودها عقيمة وأن وجودها غير مرحب به، كان ذلك أفضل للجميع.

«ما خطبي؟»

هذا ما تمتمت به مادالينا لنفسها. قلّبت بطاقة الدعوة بين يديها من جديد وكأنها فخ ملغوم.

كانت الدعوة مكتوبة على وجه واحد:

أنت مدعوة لتذوق آخر منتجات ده روجاس هذا العام

السبت في السابعة مساء، كازا ده روجاس، فيلاروزا، ماندوزا

وصلتها الدعوة في يوم البريد، مقاطعة إياها عن إلقاء نظرة على بريد والدها.

www.elromancia.com

سمعت ضجة فنظرت من حيث كانت جالسة على مكتب والدها لترى هارنان قادماً. إنه أحد أقدم وأخلص العمال لديهم. هو وزوجته ماريا، مدبرة المنزل، ظلا في خدمة العائلة مع العلم أنها أخبرتهما أنها قد لا تستطيع دفع أجرتهما.

مادالينا تعرف أن عليها استلام أعمال والدها وهي مؤهلة لذلك إذ تملك إجازة في الزراعة والتصنيع الغذائي.

ابتلعت العاطفة التي شعرت بها نتيجة وفاء هارنان لعائلتها ومدت الدعوة ليلقي نظرة عليها. قرأ الدعوة بصمت وأعادها إليها وعلى وجهه نظرة مبهمة.

بعد لحظة طويلة جداً قال الرجل العجوز: «أتعلمين أنك إذا قبلت الدعوة، تكونين أول شخص في عائلة فاسكيز يدخل أرض روجاس منذ زمن بعيد جداً، على ما أظن؟»

هزت مادي رأسها. هذا فظيع. فهي لا تعلم ما هي لعبته ولكن عليها أن تعترف أنها تشعر بالفضول لرؤية أملاك روجاس وعزبتهم.

ما صدمها وأدهشها هو هارنان الذي قال لها: «ربما ينبغي عليك الذهاب. لقد تغير الزمان والأمور لا يمكن أن تبقى على حالها إلى الأبد. ونيك ده روجاس أذكى من أبيه بالتأكيد لابل أذكى من أسلافه. نعم، هو عدو خطر ولكنه على كل حال عدو تعرفينه»

نظرت مادي إلى الدعوة مفكرة. لقد مضى أسبوعين على لقائها الكارثي بنقولاس ده روجاس وما تزال تشعر بالارتعاش كلما فكرت فيه.

ولكنها منذ أخذت تطلع على أوراق والدها، عرفت حقيقته البشعة وحقيقة عمله الدؤوب للاستيلاء على أملاك والدها. لقد كانت الأوراق مرسلة عبر محامي عائلة ده روجاس ولكنها موقعة باسم نيكولاس ده روجاس. لا بل كان هناك رسالة تهديد وصلت إلى والدها في يوم وفاته.

بمقدار ما كانت ترغب أن تشق الدعوة وتمزقها إلى مئة قطعة وتعيدها إليه، بمقدار ما كانت تعرف أنها لا تستطيع عزل نفسها. موعد الحفلة في الليلة القادمة.

وضعت الدعوة في الجارور ووقفت: «سأفكر في الأمر. في هذا الوقت علينا أن نتحقق من الأراضي الشرقية مجدداً. ففيها أفضل محاصيلنا هذا العام»

قال هارنان بوجه متجهم: «بل قولي إنها القسم الوحيد الذي يمكننا أن نجني منه شيئاً»

حاولت مادي ألا تدع الشعور بالرعب يجتاحها. فالمحصول مضروب ولا تعرف ماذا تفعل.

كان أبوها يزرع على الطريقة القديمة وهذا ما أثر سلباً، وفي السنوات الأخيرة لم يكن محصول والدها كافياً لتلبية حاجة السوق.

إن أملها الوحيد هو في محصول الأرض الشرقية فإن حصدته ووجدت مستثمراً فربما سيقبل أحدهم بإعطائهم المال لتحسين مزروعاتهم أو على الأقل لدفع الفواتير مجدداً.

وقف نيك متوتراً في وسط باحة مزرعته الموجودة في

الفلاء. ولكن تركيزه انصب على المدخل الذي كان يدخل منه صف طويل من الضيوف الذين أتوا من مختلف أنحاء العالم لتذوق ما تنتجه محاصيله. وكان النادلون المرتدون الأسود يجوبون المكان وهم يقدمون الأشربة. ولكن كل ما كان يفكر فيه نيك هو... هل ستأتي؟ ولماذا دعاها فعلياً؟.

قال نيك لنفسه إن السبب هو رغبته في رحيلها من المنطقة. انكمشت معدته. لا، الأمر أعمق من ذلك بكثير وهو يعرف ذلك. الحقيقة أنه منذ ثماني سنوات ومنذ أن لمحها في ذاك النادي في لندن وهو يرغب في رؤيتها مدمرة، نادمة، ذليلة كما شعر هو. ومنذاك الحين وهويرغب في رؤيتها غير محمية من الداخل كما شعر هو في ذاك الوقت. لقد استدرجته حتى عرّى نفسه أمامها فقد صدق التمثيلية التي كانت تمثلها عليه.

عادت كلماتها ترن في إذنيه: «كنت ضجرانة. حسناً؟ أردت أن أغويك لأنك كنت محرماً علي... وكان مثيراً....»

عن شماله، جاءه صوت متعجرف يقول: «إنها مسألة وقت قبل أن تصبح أملاك فاسكيز لنا»

رفع نيك عينيه عن باب الباحة للحظة ونظر إلى محاميه الذي كان صديقاً وفياً لوالديه. وكان في الواقع صديقاً لأمه أكثر منه لأبيه. إنه رجل قصير، بدين، فيه خبث. الواقع أنه لم يحبه قط ولكن كان من الأسهل له أن يبقيه بدل أن يستغني عن خدماته بعدما مات الوالد.

رأى بطرف عينه حركة عند الباب.

اعاد نظره إلى الباب ليرى مادالينا فاسكيز تدخل من الباب.

كان تأثيرها عليه في تلك اللحظة مضحكاً. فجسمه كله توتر وشعر برغبة قاهرة إلى رؤيتها عن قرب مجدداً تجتاح دمه وكانت هذه الرغبة من القوة بحيث صدمته قوتها. لم يسبق قط أن شعر بهذه الرغبة تجاه امرأة أخرى.

من هنا كانت تبدو خلابة أكثر مما كانت عليه قبل أسبوعين. كان شعرها مرفوعاً وكانت ترتدي ثوباً طويلاً بدون حمالات، كاشفاً عن خطوط كتفيها وترقوتها. بدا أن هناك شيئاً غريباً بالنسبة لثوبها، لم يعرف ما هو. إنه كالثوب السابق الذي ارتدته في الليلة الأخرى في ماندوزا، وكأنه لا يتلاءم جيداً مع جسمها... وكأنه ليس لها.

ـ من تلك؟ تبدو مألوفة.

«تلك» أجاب نيك وهو منزعج من واقع أن محاميه ينظر إليها أيضاً: «مادالينا فاسكيز. لقد عادت لتقوم بمهام عائلتها»

ضحك المحامي بفظاظة: «ذاك المكان فوضى بفوضى. قريباً سترجوك وتتوسل إليك حتى تشتريه منها»

ابتعد نيك عن محاميه وتوجه إلى مادالينا، وهو لا يفهم لماذا شعر برغبة قوية في لكم ذاك العجوز. وظلت هذه الرغبة موجودة حتى عندما اقترب منها ورأى عينيها الخضراوين تستقران عليه. اجتاح وجنتيها اللون الوردي وكان يرى تحت عينيها آثار الاسوداد، علامة التعب. انقبض صدره. لقد صدق يوماً هذه الحيلة ولكنها كانت خدعة لتستجلب تعاطفه وهذا شيء تعلمته من أمها. إنها حيلة الغرض منها أن يشعر الرجل بأنها بريئة فيما الحقيقة أنها فاسدة حتى العظم.

www.elromancia.com

غير أن جسده النذل لم يكن يأتمر بما يمليه عليه العقل. فالرغبة حارقة وفورية.

رسم على وجهه بسمة وحاول أن يتجاهل تلك الرغبة الحارقة التي تتزايد في دمه: «أهلاً بك في منزلي»

حاولت مادي ألا تُظهر لنيكولاس ده روجاس مدى تأثرها. منزل كلمة قليلة على هذا المكان الفخم. مرة، منذ زمن بعيد كان منزلها بهذا الكبر أما الآن فأصبح شيئاً مزرياً.

لم تثق بسحره المتمدن للحظة. فعيناه كانتا كقطعتي جليد وهذا ما جعلها تضطرب بشكل واضح. وكان أن نسيت عزمها بأن تظهر حذرة إذ قالت باندفاع: «لماذا دعوتني إلى هنا؟»

فرد عليها بسرعة رصاصة: «لماذا أتيت؟»

امتقع لون مادي فكل مبرراتها للمجيء إلى هنا بدت هشة وضعيفة. ما كان عليها إلا أن ترد الدعوة ممزقة إلى قطع صغيرة كما نوت ولكنها للأسف لم تفعل ذلك.

رفعت كتفيها: «أتيت لأنني عدت إلى المنطقة منذ أسبوعين فقط وأردت أن أجعلك تعلم أنني ما زلت على إصراري بعدم الذهاب إلى أي مكان آخر»

أومأ نيكولاس برأسه بحركة خفيفة لم تكد تلحظها وإذا برجل يقترب منه:

ـ نعم سيدي!

ـ ماداليا فاسكيز، أريد أن أعرفك إلى مدبر منزلي جيرالدو.

سيريك المكان وسيتأكد من أنك تحصلين على كل ما تريدين. والآن اعذريني.

وهكذا ببساطة ارتدّ على عقبيه مبتعداً فيما ماداليا تشعر بأنها منهارة، بائسة.

إن المشاعر التي أيقظها فيها ما تزال قوية جدًا. لعنت مادي نفسها لأنها سمحت لأي لمحة ضعف بالظهور عليها. ينبغي أن تكون قوية بما يكفي لتجابه تعجرفه وإلا لن تستطيع الصمود.

التفتت إلى الرجل الواقف إلى جنبها مبتسمة: «شكراً لك»

كان جيرالدو مضيفاً ساحراً فمع الوقت دار رأسها وهو يعرفها على المكان. كان جميع الرجال في الحفلة مرتدين التوكسيدو أما النساء فكن مرتديات فساتين سهرة طويلة.

كان المنزل نفسه مفروشاً بأناقة ولكن الاثاث بدا مريحاً. إنه منزل حقاً وهذا ما أثّر فيها عميقاً. فمنزلها كان دائماً بارداً، مليئاً بالأشياء الأثرية التي بيعت للأسف منذ زمن لتسديد ديون والدها.

ـ سأتركك الآن، إن كان ذلك ممكناً؟

وجهت مادي نظرها إلى مدبر المنزل فاكتشفت أنه ما يزال ينتظر منها جواباً: «بالتأكيد. آسفة أنني أخذت من وقتك»

ـ بل سرّني ذلك سنيوريتا فاسكيز.

كان بانتظارها رجل آخر قادها إلى حيث وضعت منتجات المزرعة، وهناك وقفت قرب إدوارد أحد عمال نيكولاس فراح

يحدثها عن المنتجات. كان شخصاً ودوداً فأخذت تتبادل معه أطراف الحديث وأخبرته عن درجة الامتياز الجامعية التي حصلت عليها من جامعة بوردو.

بعد قليل التقت نظرتها بنظرة نيكولاس الباردة الساخرة حيث بدا أطول من الجموع الحاشدة الملتفة حوله وشعرت بأنه تم توجيهها بالتحديد إلى المكان الذي أرادها هو أن تقف فيه. لقد أراد أن يريها مدى نجاحه.

بعد عدة دقائق استطاعت مادي أن تستغل فرصة قدوم أحدهم ليسأل سؤالاً فابتعدت تدفعها غريزتها للهرب من الاتجاه الذي وقف فيه نيكولاس مع حشد من الناس.

مشت بصمت إلى غرفة مضيئة مفروشة بفخامة ومنها خرجت إلى منطقة مزينة هادئة خارج البيت. كان هناك أضواء ذهبية تتساقط على الأرض كبحيرات صغيرة، وأمسكت مادي السياج الخشبي.

تناهت إلى مسمعها نغمات فرقة الجاز التي تعزف لهذا الحشد المختار من الناس. ابتسمت بهزء مفكرة بما يحاول نيكولاس ده روجاس أن يعرضه أمامها من نجاح.

ترامت أمام ناظريها كروم من العنب وبساتين غناء بالفاكهة. في الواقع هذا ما تريده لأراضيها، تريد أن تراها عامرة زاهرة كما كانت في طفولتها.

سمعت ضجة فالتفتت. خفق قلبها بقوة وهي ترى نيكولاس ده روجاس واقفاً بباب الغرفة خلفها ويداه في جيبيه. إنه جذاب

بشكل يقطع الأنفاس... للحظات نسيت كل شيء ولم تعد ترى سواه.

استدعت مادي كل ذرة من ضبط النفس وابتسمت. ولكن دون جدوى فرؤيتها لمنزل نيكولاس عن قرب أثر فيها كثيراً.

ـ هل تظن حقاً أن تباهيك بنجاحك أمامي يجعلني ألوذ إلى أقرب مطار تاركة كل شيء ورائي؟

اشتدت ملامحه وخطا خارج الباب، فانحبست أنفاس مادي وهي تشم عطره يصل إليها ويلتف حولها... للأسف لم تستطع التراجع، فالسياج الخشبي انغرز في لحمها الطري.

ـ لا شك أن المكان هنا باهت مقارنة مع أضواء لندن ومنتجعات التزلج العامرة؟

امتقع لون مادي ولكنها ابتسمت لتغطي الجرح الذي أحدثته الذكرى.

منذ زمن وبخت مادي نفسها لأنه كان عليها أن تشك بنوايا أمها عندما طلبت منها السفر لتلاقيها في منتجع التزلج الفاخر الذي كانت فيه. فقد كانت نفس الأم التي رفضت أن تساعد مادي لأنها تعتقد أنها ضحت بما فيه الكفاية من أجل ابنتها.

ما إن وصلت إلى منتجع التزلج حتى اتضح لها أن أمها كانت بحاجة إلى ابنتها لمساعدتها أمام الناس على إظهار صورة الأم الصالحة. لقد أرادت أن تغوي زوجها الحالي الذي كان قد طلق زوجته ولكنه كان أباً محباً لأولاده يكرس وقته لهم. وقتذاك كانت أمها قد طلبت من إحدى الصحف أن تصورها مع ابنتها لتظهر للعالم أنهما صديقتان.

قال نيكولاس: «كنت في الطائرة عائداً إلى منزلي عندما أعطتني المضيفة مجلة لأتسلى بقراءتها وحينما رأيت صورة الغلاف لم أستطع إلا أن أقرأ ما ورد في المجلة عن العلاقة الرائعة بينكما بعد انفصالكما المؤلم عن والدك».

شعرت مادي بالإعياء. لقد قرأت المقالة أيضاً، ولم تكد تصدق أنها كانت على تلك الدرجة من الحاجة إلى العاطفة حتى تقع في فخ تلاعب أمها بها. حاولت الآن أن تتناسى أنانية أمها.

ـ هذا المساء مضيعة لوقتك ده روجاس. فأنت تحفزني أكثر فأكثر حتى أصل إلى النجاح.

حكمه السيء عليها جعل الغضب يندفع حاراً في شرايينها.

ـ لقد أمضيت أسبوعين في منزل مقطوعة عنه الكهرباء. وها أنت تراني لا أهرع إلى أقرب منتجع صحي. والآن، إذا كنت لا تمانع لقد تأخر الوقت وعلي الاستيقاظ باكراً في الصباح.

لملمت مادي ثوبها لتمشي ولكن فردة من حذاءها الكبير خرجت من قدميها فتعثرت. غير أن يداً كبيرة أطبقت على إحدى ذراعيها العاريتين لمنع سقوطها فإذا الإحساس يصبح كمس كهربائي.

لم يدعها نيكولاس تذهب. فالتفتت إليه، بقدم بدون حذاء وأخرى بحذاء.

كان ينظر إليها عابساً: «ماذا تعنين «بدون كهرباء؟»

مادي بنظر الناس امرأة طويلة ولكنها الآن شعرت بأنها صغيرة وربطت المرارة لسانها بسبب شعورها بأنها هشة ضعيفة:

«إننا نستعمل مولداً كهربائياً قديماً لتوليد الطاقة لأن الكهرباء قُطعت عن البيت منذ أشهر... منذ أن توقف والدي عن دفع الفواتير»

هزّ نيكولاس رأسه: «لم أكن أعرف أن الوضع بهذا السوء»

حاولت مادي أن تسحب يدها بعيداً ولكن قبضته كانت محكمة. فشعرت بالخوف من ردة فعلها الجسدية الميؤوس منها تهيّج عواطفها وتدفعها إلى القول: «وكأنك مهتم! لقد كنت منشغلاً بتوقيع رسائل محاميك، باذلاً أقصى جهدك لتشتري أملاك رجل يحتضر. أتعرف أنه تلقى آخر رسالة في يوم مماته؟»

الآن، بدا نيكولاس حائراً. واشتدت قبضته عليها: «عم تتكلمين؟ لم أوقع قط على أية رسالة. إن كل المراسلات بين عائلتي وعائلتك توقفت عندما مات والدي. ومنذ ذاك الحين كنت منشغلاً ببناء اسم منتجاتنا وتجديد المنزل والعزبة»

ـ يمكنك أن تتفوه بالكذبات التي تريد ده روجاس. هذه الأمسية كانت خطأ فادحاً. لقد خذلت أبي وكل أسلافي بمجيئي إلى هنا. لن يتكرر ذلك ابداً.

خفت قبضته فشعرت مادي بأنها تائهة أما غضبها فتبدد كله. كانت نظرته حادة مشتعلة.

قال بصوت أجش عميق: «ولكنك أتيت إلى هنا، وهناك في الجو... شيء جذبنا من قبل وما يزال موجوداً الآن»

شعرت مادي بالضياع أكثر فأكثر. ولكنها استطاعت أخيراً أن تحرر يدها منه بينما كانت كلماته ترتدّ إليها من بعيد حين

وقف أمامها ذاك اليوم قائلاً: «أنت لا شيء إلا لعوب مزعجة. وأنا كنت فضولياً لتذوق أميرة فاسكيز والآن بت أعرف ما هو السم»

المرارة والغضب اللذان شعرت بهما طوال هذه السنين الثمانية الماضية، أصبحا في هذه اللحظة أكثر حدة وقضيا على كل شيء آخر. إن مادي لم تعد تثق بنفسها مع أي رجل بسببه. لقد نأت بقلبها ونفسها عن الرجال لئلا تتأذى من جديد أو لئلا تواجه أشياء مؤلمة جديدة. عليها أن تدفعه الآن قبل أن يدرك مدى ما كان عليه ضعفها وهشاشتها.

رفعت كتفيها وأجبرت نفسها على النظر إليه: «لقد أغويتك مرة، ده روجاس، فهل تعتقد أن هذه الأمسية ستجعلني أحاول إغواءك من جديد؟ ألم تكن السنين الثمانية الماضية كافية لتتخلص من جراحك؟»

وقف نيكولاس بطوله الفاره ورأت وجهه يشحب: «أيتها العاهرة الصغيرة!»

3 ـ لم أنتهِ منكِ بعد!

لم تدر مادي من أين جاءتها الجرأة لتقول تلك الكلمات ولكنها في الحقيقة كانت موجهة الى نفسها أكثر مما هي موجهة إليه. فهي لم تستطع ان تتخلص مما حدث منذ ثماني سنوات حتى الآن.

شعرت بطنين قوي في أذنيها ولكنها تجاهلته وقالت: «لا تقلق. لن تراني مجدداً. يمكننا أن نقول إن هذه المسرحية الهزلية انتهت. لقد جئت الليلة لأنني كنت فضولية لرؤية ما وصلت إليه. لقد استهنت بي حقاً»

كانت ترتد من جديد على عقبيها وهي غير منتبهة إلى انها لا تنتعل فردة حذاءها. تعثرت من جديد وكادت تقع لولم يمسكها ويسحبها من الوراء إلى صدره. التفت إحدى ذراعيه على قفصها الصدري والأخرى على كتفيها. اندفع الأدرنالين إلى شرايينها فحاولت فوراً أن تبعد ذراعيه عنها ولكنهما كانتا كالحديد.

شعرت بالاندفاع إلى الصراخ ولكن يداً أطبقت على فمها وكأنه قرأ ما فكرت فيه. أطبق الرعب على قلبها ليس بسبب التهديد بالعنف بل بسبب تهديد من نوع آخر. فالشعور بجسم

www.elromancia.com

نيكولاس ده روجاس القاسي على ظهرها أذابها من الداخل.

صرخ صوت في رأسها: لا، لا ليس هذا رجاء. فهو قادر على كشف ضعفها في ثوان إن لمسها.

عضته في الجزء اللحمي من يده فسمعته يلعن ولكن ليس قبل أن تشم رائحته النفّاذة. انقبضت معدتها والنيران تراقصت في شرايينها. أما هو فحركها بدون جهد بين ذراعيه والآن أصبحت تواجهه وذراعاه تقيدانها إلى جسمه وتحبسان ذراعيها خلف ظهرها. لقد أصبحت بلا حول ولا قوة. والمقزز في الأمر هو شعورها في هذه اللحظة بالإثارة.

ـ دعني أذهب!

هز رأسه وعيناه تتلألأن ناظراً إلى عينيها. شعرت مادي وكأنها فقدت توازنها كله. وفجأة اختلط الماضي والحاضر وكل شيء ببعضه بعضاً وشعرت بمشاعرها تغمرها.

ـ لم أنته منك مادي.

ترنح قلبها ألماً لسماعها إياه يستخدم اسمها المصغّر. ما زالت تتذكر بوضوح مؤلم حينما قالت له في الماضي إنها تفضل اسم مادي على اسمها ماداليا. راح يلمس خدها: «مادي إنه...»

ضحك وكانت ضحكة حيوان مفترس، أعادت مادي إلى اللحظة الحاضرة: «اعلمي أنني إن كنت قد استهنت بك فأنت أيضاً استهنت بي كثيراً. بيننا عمل لم ينته بعد... وللأسف أنه عمل ليس له علاقة بالأعمال»

قبل أن تستوعب مادي كلماته جيداً أو تفهم نيته، قرّبها منه أكثر. للحظة، لم يبدر عن مادي أي رد فعل عدا الخدر الحسي من وقع الصدمة. ومن ثم انفجرت المشاعر في عينيها: حارة وملحة.

حاولت يائسة أن تجرّ نفسها إلى الواقع وألا تدع الإلحاح الحار يتغلب على حاجتها إلى البقاء جامدة وغير متجاوبة ولكنها كمن يتمنى ألا تشرق الشمس في الصباح.

إن وجودها بين ذراعي هذا الرجل من جديد أشبه برؤية منارة في وسط بحر هائج حيث لا يأمل المرء في تلك اللحظة إلا السعي إلى الميناء. شعرت مادي بتلك الرغبة الملحة إلى الوصول إلى الخلاص، مع العلم أن كل شيء منطقي يصرخ بها أن تتوقف وتتحرر. ولكن جزءاً كبيراً منها كان يتألم ويتألم.

وكأن نيك أحس بعذابها، إذ حرر يديها ورفع يده إلى رأسها، يمسكه ويوجهه بحيث يستطيع أن يقبّلها. وإذا بمقاومتها تتهاوى ويداها المحررتان تحومان للحظة طويلة. كانت تعرف أن عليها أن تستخدمهما لتدفعه عنها، ولكن ما إن وضعتهما بين جسديهما وشعرت بعضلات صدره المشدودة، حتى علقتا هناك ولم تعملا على دفعه أبداً.

زمجر بصوت منخفض لشعوره بإذعانها وأصبح أجرأ، فتمايلت نحوه أكثر وشعرت بأن جسمه يسحقها.

انقلب العالم إلى فرن من المشاعر الحارة والرغبة اليائسة و.. فجأة أيقظتها نسمة باردة فنظرت إلى وجهه الجامد. بدا وكأنه منحوت من حجر. أما هي فشعرت وكأنها من هلام. فمها

www.elromancia.com

متورم، وقلبها ينبض بقوة وشعرها متساقط على بشرتها الحساسة.

«أنت...» لم تستطع التفوه بغير هذه الكلمة.

قال بصوت بارد جداً أيقظها أكثر من أي شيء آخر: «ما الذي أردت أن تقوليه؟هل تريدين مني أن أصدق هذه التمثيلية؟ أتريدين أن أصدق أنني جعلتك تفقدين القدرة على النطق بسبب العاطفة؟»

ألقى عليها نظرة جد مريرة جعلتها تتراجع إلى الوراء. للحظات كان الإذلال يجعلها تشعر بالتشتت والضيع.

ـ هل نسيت أنك حاولت من قبل هذا معي؟ أنا لست غبياً لأقع في الفخ مرتين ومع ذلك لا يمكنك أن تنكري أنك تريدينني أيضاً، بمقدار لا بل أكثر مما أردتني قبل ثماني سنوات عندما كنت ترتعشين بين ذراعي. كان بمقدوري أن آخذك في ذاك الوقت بكامل رضاك. لعلك رغبت في إغوائي بسبب شعورك بالضجر ولكن ردة فعلك في ذاك الوقت والآن بعيدة كل البعد عن الضجر. ولا يمكنك أبداً الهرب من هذا الواقع»

نبرة صوته المتعالية المتكبرة انتشلت مادي من الضباب الذي غرقت فيه. ابتعدت من عناقه بحركة مفاجئة:

ـ أنا لست عابثة بفرضياتك، فالماضي هو الماضي وهناك يجب أن يبقى. وهذا...

وحركت يدها بشكل دائرة: «لا شيء إلا دليل واضح على أن الجاذبية الجنسية ليست إلا شيئا عبثياً اعتباطياً. ليس إلا»

ابتسم نيك: «لو لم أتوقف لكنت استسلمت لي هنا، على بعد خطوات قليلة عن مئة ضيف».

جعلتها كلماته ترفع يدها. لقد دفعها بعيداً جداً.

ولكن قبل أن تصل يدها إلى وجهه، أمسك يدها بقبضة حديدية. وشعرت مادي بالصدمة تجتاحها. فلم يسبق أن رفعت يدها بوجه أحد قط.

كان وجهه متجهماً بشكل كبير وهو يردف قائلاً: «لقد برهنت لك أنك غير قادرة على التحكم برغبتك فيّ الآن وكذلك كان حالك قبل ثماني سنوات. ومهما حاولت أن تقنعيني بأنك وجدت ما فعلناه كريهاً بحيث شعرت بالمرض جسدياً، لقد جئت الليلة إلى هنا لتتذوقيني بمقدار ما رغبت أنا في تذوقك. فراشي خال في الوقت الحالي وأنا أكثر من مرحب بأن تنضمي إليّ، وعندئذ يمكننا الانغماس بتلك الجاذبية حتى تعودي إلى رشدك فتقررين بيعي أملاك فاسكيز»

انتزعت مادي يدها منه وحاولت ردع رغبتها في صفعه. فنظرته إلى ما حدث في ذاك اليوم الكارثي كان مختلفاً كل الاختلاف عن نظرتها. تعرف أنها أعطته الانطباع بأن ما جرى معهما كان مقززاً لها، ولقد شعرت بالكره لما حدث بينهما إنما لأسباب مختلفة عما يظن.

وقتذاك عجزت عن إخباره والآن لا تستطيع إخباره لأن ذلك سيكشفها ويعريها أكثر فأكثر. وسيعرف أن ذاك الأسبوع كان يعني كل شيء لها وسيعرف أنها لم تخطط لإغوائه من

أجل التسلية. والآن لن تقوم بتصحيح اعتقاده مهما كلفها الأمر، فهذه هي طريقتها الوحيدة للدفاع.

وقفت وقالت مقطبة الوجه: «يبدو أنك نسيت أن فراشك منذ أسبوعين كان مشغولاً. أنا بغنى عن طلبك. شكراً»

وعندئذ ارتدت على عقبيها ومشت في طريقها.

لحسن حظها لم يحاول إيقافها. أما هي فلم تدرك أنها حافية القدمين إلا حين أصبحت في الخارج متوجهة إلى الباب الرئيسي. لا، لا يمكن أن تعود من أجل حذائها وتخاطر برؤية نيك ثانية. أسرعت الى الجيب وعندما بدأت أضواء المزرعة تتباعد أطلقت أخيراً أنفاسها.

لقد كانت غبية عندما اعتقدت أن ده روجاس لن يستحضر الماضي من جديد. إنه رجل متكبر، كامل الرجولة. وهي على يقين بأنها جرحت الأنا عنده. في هذه اللحظة ارتجفت وهي تتذكر تلك النظرة المريرة التي عبرت وجهه قبل قليل. ولكنها لم تتصور أن كل تلك المشاعر ستعود حية بقوة بينهما.

مع ان الأحداث التي مرت قبل ثماني سنوات قد أطلقت موجات عنيفة، إلا أنها تصورت أن ذاك الأسبوع الذي أدى إلى هذه الأحداث قد خبا من ذاكرته. كما أنها تصورت أن تلك السنوات والعلاقات التي لا تحصى التي أقامها مع النساء الجميلات قد جعلت ذكراها تخبو من ذاكرته.

الطريقة التي قبّلها فيها الآن وذكرى ذاك الأسبوع والرغبة الجياشة القوية التي دفعتها وقتذاك إلى ما بين ذراعيه، جعلا مادي ترتجف من الداخل وكان ارتجافها من القوة بحيث كان

عليها أن تسحب نفسها قبل أن تنهار. وضعت رأسها على مقود الجيب بين يديها وحاولت أن تجلي رأسها مما يدور فيه ولكن ذلك كان مستحيلاً. فالذكريات كانت أقوى وأشد تأثيراً، لا سيما بعدما جرى بينهما الآن...

لقد تمكنت ذاك اليوم من التملص من أمها وأبيها، فركبت جوادها. وكانت تأمل دائماً أن تلمحه وهو في المزرعة. وقتذاك قلبها توقف عن الخفقان عندما رأته على بعد أمتار منها. ولكن حدة وجهه أخافتها فأدارت جوادها لتهرب، غير عارفة مما تهرب. ربما تهرب من الإثارة التي كانت تغلي في دمها.

ما زالت تتذكر أنها عندما التفتت إلى الوراء رأته يلحق بها والتعبير ذاته ما يزال على وجهه. وجعلها احتكاك الجواد بساقيها بسبب عدوه بسرعة تصرخ من شدة الألم. وحينما وصلت إلى البستان النائي الذي يفصل بين مزرعتيهما كانت تشعر بجسدها كله متوتر بسببه.

كان ذاك البستان مكانها المفضل، مكانها السري. وعندئذ وصل فترجل عن جواده بطاقة فيّاضة. شعرت بأن وجوده على هذه الدرجة من القرب يجتاحها إلى أعمق أعماقها، والحقيقة أنها كانت غير مستعدة أبداً إلى هذه الرجولة الكاسحة.

لمسها بلطف. وأخذا يتكلمان، يتكلمان فعلياً. بعد سنوات من شعورها بأن لا أحد يفهمها وجدت صلة بينها وبين أبعد الناس عنها، ابن ألد العائلات عداوة لعائلتها.

ذلك اليوم عندما حاولت المغادرة، شعرت بقلبها ثقيلاً

وكأن حجراً وُضع على صدرها. ولكن نيك طلب منها أن يراها في اليوم التالي فزال الثقل عن قلبها.. وكان أن رأته في اليوم التالي والذي بعده وبعده.

اتخذ ذاك الأسبوع وجهاً غير واقعي.. لقد كان حلماً. فتلك اللحظات التي كانت تقضيها معه تحت ظلال أشجار ذاك البستان، أصبحت الواقع الوحيد الذي تريده مادي. لقد استحوذ نيك عليها بالكامل وملأ لياليها بأحلام زاهية شهوانية. في نهاية ذاك الأسبوع كانت تتوق إليه وتخاف من شدة توقها إليه وكانت تتعذب جسدياً بحيث لم تستطع إلا رمي نفسها عليه.

لقد قبّلها ولمسها بشغف، فاشتعل وجهها وهي تتذكر مدى رغبتها فيه، وفي المزيد والمزيد مما لا تستطيع التكهن به.

ومن ثم كل الجحيم سقط عليهما.

وجوه ضخمة تركب الجياد أحاطت بهما محطمة عالم الأحلام الذي كانت تعيشه. من الواضح أن هناك من لاحظ تغيبهما المستمر. وضع نيك مادي خلفه فاستطاعت بيدين مرتجفتين أن تمسد بلوزتها وكانت تشعر بالخوف بسبب الأصوات التي تصرخ عالياً. ومن ثم تمّ سحبهما من بين الأشجار وسيقا معاً. عندما نظرت بعد قليل إلى الوراء رأت نيك قرب حصانه يبعد رجال أبيه عنه ويشتبك معهم.

شهقت عالياً عندما رأت أحد الرجال يحاول أن يلكمه لمنعه من ضربهم. ولكنها لم تستطع أن ترى شيئاً لأنهم وضعوها على جوادها وساقوها بعيداً.

حينما وصلت إلى منزلها وجدت أمها تنتظرها ووجهها أبيض من شدة الغضب. وسارعت تسألها: «أصحيح ما سمعت؟ لقد وجدوك مع نيكولاس ده روجاس؟»

لأول مرة في حياتها تشعر بنيران التمرد تستعر في داخلها. رفعت ذقنها وأجابت بصوت قوي: «نعم، صحيح»

لم تكن مستعدة للصفعة القوية التي تلقتها من أمه على وجهها. شعرت بطعم الدم في فمها. رفعت يدها إلى خدها وحدقت مرعوبة إلى هذه المرأة التي لم يسبق لها أن لمستها إلا للإيحاء للناس بتقارب بينهما غير موجود أبداً.

ثم... ثم أجهشت أمها ببكاء هستيري. قبل أن تفهم مادي ما الذي يجري، أمسكت بيد أمها وأخذتها إلى غرفة الجلوس وأعطتها شراباً لتهدئ روعها.

أخيراً نظرت أمها إليها وارتجفت بقوة. كانت مادي مذهولة وهي تقول: «هل وجودي مع نيكولاس أمر سيء إلى هذه الدرجة؟... نحن معجبان ببعضنا»

ضعضع قول مادي أمها من جديد وحينما استطاعت الأم أخيراً تمالك نفسها قالت لها: «لا يمكنك رؤيته مجدداً. أمنعك من ذلك. فكري في ما قد يفعله هذا بوالدك»

عاد التمرد إلى قلب مادي ثانية، فهي لا تستطيع أن تنكر رغبتها في رؤية نيك مجدداً. وقفت ثائرة: «هذا سخيف، لا يمكنك أبداً منعي عن رؤيته. نحن لا نعبأ بذاك الثأر الغبي».

وقفت أمها أيضاً: «مادالينا لا يمكنك أن تعصيني في هذا»

www.elromancia.com

لقد جعلها استعمال أمها لاسمها كاملاً تشعر بأن شيئاً يتحطم في داخل مادي. إن سنوات الإحباط التي نتجت عن خوفها الدائم من مزاج والدها الزئبقي، وعن موت أخيها وأنانية أمها، جعلتها تنفجر: «إذا أردت أن أرى نيكولاس ده روجاس ثانية، لن تقدر قوة على وجه الأرض من منعي عن ذلك»

عم هدوء رهيب الغرفة وراقبت مادي أمها المذهولة أمامها.

اهتز الكوب بين يدي أمها وكان الاهتزاز من القوة بحيث سارعت مادي تأخذه منها، قائلة لها بقنوط ويأس: «إن هذه التراجيديا التي تمثلينها لن تنفع. قد تمشي على والدي لا عليّ..»

ـ سأقول لك لماذا لا يمكنك رؤيته.

توقفت مادي عن الكلام. فشيء ما في صوت أمها المنخفض جعل الرجفة تسري في جسمها.

ـ عم تتحدثين؟

وعندئذ تكلمت أمها، مشتتة عالم مادي إلى ألف جزء وجزء.

ـ منذ أن كنت شابة عندما كنا نأتي إلى مندوزا، وقعت في حب سيبستيان ده روجاس.

التوى فم أمها وهي تردف: «لم أكن من المنطقة، لذا كنت أعرف فقط تفاصيل غامضة عن الثأر بين العائلة وبين....»

حاولت مادي أن تفهم وتستوعب ما تقوله أمها: «كنت واقعة في حب والد نيكولاس؟ ولكن ما علاقة هذا بالوقت الحاضر؟»

جلست أم مادي من جديد وهي تعصر يديها في حضنها وكانت تحاول ألا تنظر في عيني مادي: «الحقيقة أنني أردت أن يتزوجني سيبستيان ولكنني كنت صغيرة جداً وعائلته أجبرته على الزواج بزوجته لأنهم هم من اختاروها له. وكان أن تزوجها وأنجب منها ابنه نيكولاس بسرعة»

تحشرج صوت أمها: «ظننت أنني أضعته إلى الأبد، حتى التقيت والدك»

نظرت إلى عيني مادي: «من أحد أسباب زواجي بوالدك هو أن أكون قريبة من سيبستيان. وعندما رآني من جديد لم يستطع مقاومة نفسه فأقمنا علاقة بالخفاء. كنا نلتقي في الفنادق وفي أي مكان يتسنى لنا...»

شعرت مادي بأنها تبتعد عن كل شيء وكأن صوت أمها يأتي من بعيد، بعيد.

ـ ذهب يوماً إلى أوروبا شتاء ليرى كيف يوسع أعماله وعندما عاد كنت حاملاً بألفارو... أخيك. وقتذاك قطع علاقته بي لأنه ظنني أدرت ظهره له، مفضلة زواجي عليه».

اغرورقت عينا أمها بالدموع ولكن مادي لم تشعر بأي تعاطف. شعرت بالسقم وهي ترى المدى الذي وصلت إليه لتحقق مآربها. لقد تزوجت رجلاً لا تحبه لتستدرج رجلاً متزوجاً وتبعده عن زوجته وابنه.

ـ لا أرى حتى الآن ما الذي يمنعني عن رؤية نيكولاس؟

وارتدت مادي على عقبيها تهم بمغادرة الغرفة ولكنها سمعت أمها تقول من ورائها:

www.elromancia.com

ـ بل هناك ألف سبب يمنعك عن رؤيته.

التفتت مادي إلى أمها مرغمة.

ابتلعت أمها ريقها: «لم أتوقف عن رؤية سيبستيان بالكامل، وقد استطعت عدة مرات أن أقنعه بأن نلتقي. بعد إحدى تلك المرات حملت بك.. أنت».

امتقع وجه أمها: «ولكنني في ذاك الوقت كنت أنام مع أبيك أيضاً. الحقيقة أنني لا أدري إن كان سيبستيان ده روجاس هو والدك»

نظرت مادي إلى أمها. وقعت الكلمات على جدار غير مرئي بينهما حيث لم تستطع استيعاب فظاعة ما تقوله أمها.

ـ لا تستطيعين رؤية نيكولاس لأنه يحتمل أن يكون أخاك.

الكأس الذي أخذته مادي من يد أمها قبل قليل سقط من يدها ووقع على الأرض. ولكنها لم تلاحظ، فالصدمة صعقتها وخدرتها.

الشيء الوحيد الذي كسر واقع الحقيقة الرهيبة التي كشفتها أمها هو الغضب المستعر الذي جاءهما من خلفهما. كان والد مادي واقفاً في الباب وعيناه تقدحان بجنون، وقال بصوت مصدوم: «كنت أعلم. لطالما شعرت بأن بينكما شيئاً ما. هل ابني هو ابني؟ أم انه أيضاً ابنه؟»

بعد ذلك أصبحت ذاكرة مادي ضبابية. تذكر أنه كان هناك الكثير من الصراخ والبكاء، وقد قام أبوها بسحبها إلى غرفتها وأغلق الباب عليها. في اليوم التالي بعد ليلة لم تذق فيها طعم النوم، تسللت مادي من غرفتها في الطابق الأول وركبت

جوادها. لم تعد بعد الآن تعباً بغضب أبيها. إنها بحاجة لأن تخرج.

وما أرعبها أنها غريزياً وجدت نفسها في البستان. ترجلت عن جوادها ولكنها فوجئت بأنها ليست وحدها فقد خطا نيكولاس من وراء الاشجار ووجهه متجهم.

اعتصر الألم قلبها ممزوجاً بالخوف والإثارة. هل كانت تأمل أن يكون هنا رغم ما حدث؟ ولكن ما شعرت به البارحة من صفاء وصواب علاقتهما قد تحول اليوم إلى خطأ ودنس.

ـ لماذا أنت هنا؟

ابتسم مع أن وجهه كان مشدود الملامح: «أردت أن أعرف إن كنت ستعودين؟»

إن رؤيته هنا وهي تحمل في قلبها تلك الحقيقة الرهيبة، كانت أكثر من قدرتها على التحمل: «لقد جئت لأكون وحدي وفي الواقع لم أكن أريد رؤيتك»

اشتد وجهه أكثر فسارعت مادي تقول له: «عليك أن تذهب الآن»

اقترب منها ووضع يديه على ذراعيها: «لا أصدق أنك لا تريدين رؤيتي. أتريدين منهم أن يرعبوك؟»

كانت لمسته أكثر مما تتحمل. إنها تشعر بالسقم وترتجف برداً، ولكنها وقفت ثانية لترى وجه نيك أبيض وهو ينظر إليها.

ـ رجاء... اذهب فقط. لا أريد رؤيتك ثانية.

ـ كدت تخدعينني البارحة...

www.elromancia.com

ابتلعت مادي ريقها وقالت بتثاقل: «ذلك كان البارحة. وهذا هو اليوم، وأنا لا أريد رؤيتك ثانية».

لم يتحرك، فأصبحت مادي يائسة. فهي لا تقوى على رؤيته، ليس وهو يوقظ فيها مشاعر كهذه.

تشنجت معدتها وأسرعت تقول أول شيء خطر على بالها: «كنت أشعر بالملل، هل فهمت؟ كنت أشعر بالملل وأردت أن أرى إن كان بمقدوري إغواءك.. فأنت بالنسبة لي كنت شخصاً محرماً علي. وهذا ما جعلني أشعر بالإثارة. هذا هو كل الأمر».

رفعت مادي رأسها الثقيل عن مقود الجيب، فغشي بصرها بسبب وميض السيارات. كان رأسها ثقيلاً من سطوة الذكريات. حاولت أن تقطع هذه الذكريات فهي ليست بحاجة إلى تذكر ما حدث بعد ذلك: لا تريد أن تتذكر كيف تحوّل نيك إلى شخص بارد، قاس... وكيف قال لها إن مذاقها أشبه بالسم.

وقتذاك اقترب منها وقال بصوت بارد كالثلج: «كنت أعتقد أن الثأر شيء عرضي... ولكنه شيء أكثر من صائب».

عندما عادت إلى المنزل بعد ساعات من ذلك، وجدت حقائبها موضبة وأبوها ينتظرها مع أمها في السيارة. وكان أن اقتادهما بصمت وبدون أي كلمة تعليل أو تفسير إلى المطار وتركهما هناك بعد أن قال: «لم تعودا بالنسبة لي لا زوجة ولا ابنة»

ركبت مادي وأمها الطائرة إلى بيونس أيرس. وعندما وصلتا إلى منزل عمتها في الضواحي قالت لأمها فقط: «أريد أن أعرف من هو أبي. أظنني أستحق ذلك على الأقل»

وافقت أمها على ذلك ولكن من شروط اجراء الـ DNA هو أخذ عينة ممن سيصبح زوجها السابق وكان يعني ذلك أن تضحي بضمانات الطلاق وهو شيء لم تسامح مادي عليه أبداً.

بعد شهر على رحيلهما عن ماندوزا وعن منزلها ذهبت مادي إلى مكتب الطبيب في بونس أيرس مع فحص الـ DNA. بعد أسبوعين حصلت على النتيجة واكتشفت أن لا ارتباط بينها وبين نيكولاس أو أبيه. إنها بدون أي شك فاسكيز مئة في المئة.

أخيراً شعرت مادي بالقوة الكافية لتشغيل الجيب من جديد وإكمال رحلتها. في ذاك الوقت أرسلت مادي إلى والدها نتائج الـ DNA ولكنه ظل ناقماً عليها بسبب ذنوب أمها حتى يوم وفاته. على مادي الآن أن تحقق رغباته وتفعل ما بوسعها لتنسى نيكولاس ده روجاس وتعمل على إنقاذ مزرعة فاسكيز.

ـ لقد تركت حذاءك وراءك يا ساندريلا.

تشنج ظهر مادي لسماعها صوته العميق المألوف، واقشعر بدنها... ببطء رفعت رأسها من حيث كانت تتفقد الزرع، لترى شكلاً طويلاً أسود، يمسك بفردة حذائها.

طرفت مادي بعينيها وهي عاجزة عن الفهم. فليلة أمس بالكاد غمض لها جفن، لأنها في كل مرة أغلقت عينيها كانت ترى فيها كوابيس. ولعلها الآن تهذي من التعب.

ولكن عندما لم يختف الحذاء أو الشكل الأسود قالت بعناد: «لم يكن هناك داع لتكبد هذا العناء»

www.elromancia.com

شعرت بأنها مغبرة بهذا الجينز الممزق والتيشرت البسيط والحذاء العالي الساقين القديم. الحمد لله أن قبعة القش التي تضعها حمتها من عيني نيك الزرقاوين ومن الشمس أيضاً. استطاعت أن ترى من تحت ظل حافة القبعة أنه هو أيضاً يرتدي ثياباً عادية: تيشرت بولو غامقة اللون وجينز باهت اللون تعلق بعضلات ساقيه القوية.

ـ أريد أن أعرف لماذا ترتدين أحذية وثياباً أكبر من مقاسك.

امتقع لون مادي ونظرت إليه من تحت القبعة، غير مستغربة من قدرته على معرفة مقاس حذائها. انحبست أنفاسها بسبب جاذبيته الديناميكية وقوته التي استطاعت أن تراها بجلاء في ضوء النهار. كانت عيناه الزرقاوان بارزتي اللون أمام بشرته السمراء.

ردت مادي بدون تفكير: «إنها لأمي»

قطب حاجبيه وهو يسأل: «هل أضعت حقائبك؟»

بدأت مادي بالتحرك بعيداً عن قوة تأثير وجوده عليها: «نعم لقد أضعت كل حقائبي الأربع والعشرين والمصممة باسمي»

عندها فقط أدركت ماهي فاعلة. وفجأة أدركت مادي جسامة أن يرى نيكولاس ده روجاس محصولها المزري. التفتت إليه تسأله: «كيف دخلت إلى هنا؟ عليك أن تخرج حالاً من هذه الأرض. إنها أملاك خاصة».

صدر عنه صوت متبرم وكتّف ذراعيه، فانجذبت عينا مادي إلى عضلاته المفتولة.

شعرت مادي بالغضب من نفسها بسبب ضعفها.

ـ يا للفظاظة! لا سيما بعدما ذهبت بعيداً لأظهر لك حسن الضيافة ليلة أمس. بيننا تاريخ يا مادي. المرة الأولى التي يحدث في عائلتي انفصال كان سببه علاقة أمك وأبي الوضيعة، فضلاً عن علاقتنا التي كادت تأخذ مسار علاقتهما.

شعرت مادي بالسقم وتجنبت عينيه: «حدث ذلك منذ زمن بعيد»

ورفعت ذقنها ولكن شيئاً في وجه نيك قسا فارتجفت مادي.

ـ أنت حقاً لغز. أليس كذلك يا مادي فاسكيز؟ فأنا لا أستطيع أن أرى أن من الممكن أن تكوني شخصا مجتهداً، مجداً.

تجمدت مادي للحظة ومن ثم تذكرت محادثتها مع إدواردو أحد عماله. فقالت بمرارة: «هل طلبت من موظفيك أن يخبروك عن محادثاتنا أم لعلك وضعت أجهزة تنصت وتنّصت علينا؟»

كان صوته مليئاً بالارتياب أكثر وهو يقول: «أنت تدّعين أنك حصلت على إجازة جامعية في الزراعة في الوقت الذي كنت فيه نشطة جداً اجتماعياً».

ردت مادي بغضب: «إن نشاط حياتك الاجتماعية المحمومة لم يمنعك عن أن تصبح أحد أهم منتجي المواد الغذائية في العالم»

ومضت عيناه: «يبدو أنك تتبعين أخباري»

تورد وجه مادي فغضت نظرها ولكنها ترفض أن يخيفها لذا

www.elromancia.com

عادت ترفع ذقنها وتردّ عليه: «يمكنك أن تتحقق من النتائج في جامعة بوردو إن كنت لا تصدقني».

ـ من يا ترى تكفل نفقات جامعتك؟ أحد عشاقك أم لعلك قمت باعتماد طريقتك في الإغواء للحصول على المرتبة الأولى؟

4 ـ دعوة على العشاء

اهتزت أعماق مادي من الغضب: «هذا صحيح يا نيك. لقد أغويت جميع أساتذتي ليعطوني الدرجة الأولى. أنا على تلك الدرجة من البراعة في الفراش وهم على تلك الدرجة من الضعف».

امتقع لون نيك فلم يحدث قط أن استطاعت امرأة إغراءه أو اجتذابه مثلها. المشكلة أن هذه الحقيقة أثارت غريزته. فإن كانت بالفعل قد نالت الدرجة الأولى من جامعة بوردو فهذا سيهدم كل آرائه بمادي فاسكيز.

سألها وهو يشعر بالانزعاج: «أهكذا ذهب مالك كله؟»

للحظة بدت عاجزة عن الإجابة ولم يلمها نيك على ذلك. ولكنها سرعان ما تمالكت نفسها وجاء صوتها مترفعاً: «كنت أعمل في أحد المزارع في بوردو وقد قام المالك بتقديم نفقات تعليمي»

تجنبت عينيه. فشعر نيك برغبة لرفع ذقنها ليستطيع رؤية عينيها ولكنه كان يخاف أن يلمسها. يخاف أن يفقد قدرته على ضبط نفسه كما حدث معه ليلة البارحة، فيطرحها أرضاً هناك تحت تلك الشجرات الظليلة.

www.elromancia.com

نظرت إليه وكانت عيناها الخضراوان تومضان: «وقبل أن تسأل ـ لا لم أنم مع المالك ليتكفلني. لقد منحني منحة لأتعلم في جامعة بوردو بشرط أن أعلّم موظفيه. هذا هوالأمر بكل بساطة»

ـ أنت محظوظة حقاً!

قال ذلك ولكن رغبته فيها التي ما تزال تضرب بقوة في داخله، شتتت تركيزه عما تفصح به. كان شعرها مجدولاً ولكن بعض الخصلات انسلت من مكانها وتساقطت على كتفيها وتعلقت بخديها الدافئين. إنها أجمل من أي امرأة تعرف إليها منذ زمن بل إنها أجمل امرأة رآها في حياته كله. اعتصر شيء في صدره بألم.

الليلة الماضية عندما ضمها إلى صدره، كان جزءاً كبيراً من استسلامه عائداً إلى رغبته في أن يبرهن لنفسه شيئاً. لقد كان محتاجاً إلى رؤيتها منضعضعة. وهذا ما حدث بالفعل، فقد ترنحت كالسكران بعدما قبّلها. أما هو فاحتاج إلى قدراته كلها على ضبط النفس حتى تماسك في الوقت الذي كان فيه رأسه ممزقاً إلى الف قطعة وكل ما رغب فيه في تلك اللحظة هو أن يحملها إلى فراشه كرجل الكهف.

شعر بالرضا يجتاحه لأنه علم أنها ترغب فيه بالمقدار ذاته. ولكنه لم يكتف إذ أراد أكثر فأكثر. لقد أراد أن يعرف هذه المرأة حميمياً بالكامل. أراد أن يكمل ما بدأه في ذاك الأسبوع قبل ثماني سنوات.

لماذا ينظر إليها مقيِّماً؟ لم يعجب مادي ذلك أبداً ولم يعجبها الطريقة التي يبدو فيها على أرضها مرتاحاً بالكامل.

عقدت ذراعيها على صدرها: «أريد أن تغادر.. الآن، فلا أهلاً ولا مرحباً بك هنا»

ضاقت عيناه وكأنه تذكر شيئاً. وجاء صوته صارماً: «أريد أن أرى تلك الأوراق. تلك التي قلت إنني وقعتها».

لم تتوقع مادي ذلك. فتحت فمها ثم أغلقته ولكنها علمت أن لا حق لها أن تمنعه كما أن ذلك سيبعده عن أراضيها الزراعية. قالت بصوت مترفع: «حسناً. إنها في البيت»

ارتدت على عقبيها واتجهت إلى المنزل مبتعدة عنه. أثناء سيرها في البساتين رأت هارنان الذي نظر إليها وعلى وجهه الانزعاج ولكنها أشارت إليه بأنها بخير.

رأت جيب نيك الزاهي مركوناً قرب جيبها. فتح لها نيك باب جيبه فوقفت مترددة قليلا ثم نزعت قبعتها وركبت معه.

أرسل نيك نظرة معبرة نحو جيبها وقال وهو يبدأ بالقيادة: «ذاك الشيء وصفة للموت»

ابتسمت مادي بعذوبة: «وهذا ما تتمناه لي»

أرسل إليها نظرة سوداء: «لا أتمنى لك الموت. مادي أريدك أن تذهبي من هنا فقط والفرق كبير بين الأمرين. كم بقيت في فرنسا؟»

ترددت مادي قبل أن تجيب لأنها لا تريد أن تكشف شيئاً عن حياتها له: «ذهبت إلى هناك عندما كنت الحادية والعشرين من عمري، بعدما قضيت سنة كاملة في لندن»

اشتد فم نيك: «لعلني في ذاك الوقت رأيتك في ذاك النادي الليلي».

أجفلت مادي عندما فكرت في الاشمئزاز الذي بدا على وجهه في تلك الليلة عندما نظر إليها صعوداً ونزولاً قبل أن يرتد خارجاً وفي أعقابه مجموعة من الجميلات. تاقت إلى إخباره بأنها كانت هناك فقط لأنها التقت ببعض أصدقائها من المدرسة وأنهم أصروا عليها بالذهاب معهم للاحتفال بعيد ميلاد أحد الأصدقاء.

لقد استأجروا لها ثيابها ولهذا السبب كانت مرتدية فستاناً لا يترك للمخيلة شيئاً. عليها الآن أن تسلّم بأنها لم تكن محظوظة برؤية نيك وهي مرتدية ذاك الفستان الفاضح.

اكتفت بالرد على سؤاله بصوت مهزوم: «نعم». ونظرت من النافذة إلى الخارج مفوتة عليها نظرة نيك التي أرسلها إليها.

درس نيك جانب وجهها وشكّ في أنها تخبئ شيئاً ولكن ما هو؟من الواضح أنها شقت طريقاً صعباً مدة سنة في لندن ومن ثم انتقلت إلى فرنسا للعمل في إحدى المزارع. ربما نفد منها المال وأجبرت على ذاك القرار؟ لا يبدو ذلك منسجماً مع طبيعتها ولكن ربما قررت أن الجائزة الكبرى هي بالعودة إلى منزل العائلة وإدارة أعماله.

ربما قلل من تقدير طموحها، فما زال يتذكر مدى حزنها عندما أخبرته أنها لطالما رغبت في العمل في الأرض. ولكن إن كانت فعلاً قد نالت درجة جامعية فعليه أن يعترف أنها شخص مختلف عما يعتقد.

مما لا شكّ فيه أنها ما زالت هنا، ولم تهرع إلى الأعالي. لقد رآها قبل قليل تعمل بجد غير عابئة أن تتسخ من العمل في الأرض. عليه أن يعترف أنه فوجئ بالوضع السيء الذي آلت إليه مزرعة فاسكيز، وقد لاحظ حول عيني مادي آثار التعب التي لم يستطع حتى الماكياج بالأمس أن يخفيه. ولكن ما لم يعجبه هو أنه عندما لاحظ تعبها شعر بالرغبة في حمايتها.

إنهما الآن أمام الفيلا، وهي في حالة يرثى لها مع أنها مازالت تحتفظ بآثار مجدها القديم. الواقع أن الفرق البيّن بين مزرعته ومزرعتها قد أصبح كبيراً. ولكنه سارع يدفع عن قلبه شعوره ذاك في حماية مادي، ولم يشعر البتة بالنصر وهذا ما أدهشه. انتظر مادي أن تسير أمامه لتدله على الطريق إلى منزلها.

ـ ماريا، هلا جلبت لنا بعض القهوة رجاء!

أرسلت مادي شكراً صامتاً لماريا التي كانت هنا للترحيب بهما. وهرعت إلى المطبخ، فرغم كل الوضع المزري مازالت تقوم بعملها كمدبرة منزل. ولكن من الهام بالنسبة لمادي ألا تجعل نيك يرى سوء وضعها. فإن استطاعت المحافظة على الانطباع بأن وضعها طبيعي، لن يستطيع أن يكون كالطائر الذي يحوم حول فريسته بانتظار موتها.. الليلة الماضية ذهبت بعيداً في أكثر من طريقة.

تورددت وجنتاها حالما تذكرت تلك القبلة، ولكنها حاولت طرد الذكرى وأسرعت ترشد نيك إلى مكتب والدها. توجهت فوراً إلى مكتب والدها الخشبي وتناولت الرسائل بصمت ثم

أعطته إياها، تترقب بفضول رد فعله. جاءت ماريا بالقهوة فسارعت مادي تقدمها. جلس نيك وفتح الأوراق يقرأها.

جلست مادي على الجهة الأخرى من المكتب الخشبي وعندئذ فقط لاحظت كم ترتجف ساقاها. بدا وجهه فاتراً ولكن عندما وصل إلى الرسالة الأخيرة بدا الغضب على وجهه وبان اللون على خديه. تشنجت معدة مادي، فهي تشعر جيداً بمدى غضبه.

أخيراً نظر إليها: «هذا ليس توقيعي»

عبست مادي: «ولكن اسمك في الأسفل»

قبل أن تعرف ماذا يفعل أخذ قلماً وورقة. وكتب اسمه بيده اليسرى ثم أعطاها الورقة: «إن توقيعي مميز لأني شخص عسراوي»

نظرت مادي إلى توقيعه. إنه مختلف بالكامل ولكنه يشبهه. شعرت في أعماقها بأنها ليست بحاجة للتأكد إن كان يكذب. إنه شخص متكبر ولن يتردد أبداً بالقول لها إنه من أرسلها لو كان هو الفاعل. ولماذا يكذب؟ إنه يكرهها ويريدها أن تعود من حيث أتت.

نظرت إليه وهي تدفع عنها الحيرة: «من أرسلها إذن؟»

ـ الرسائل الأولى من والدي ومحاميه. ولكن بعد وفاته، قام أحدهم بتزوير توقيعي. أظنني أعرف من الفاعل ولكن عليّ أن أتأكد أولاً.

اومأت مادي برأسها.

تناول نيك فنجان القهوة وارتشفه كله برشفة واحدة: «لقد أخذت ما يكفي من وقتك»

ونهض واقفاً فوقفت هي أيضاً. ولكن المؤسف أنها لم تشعر بالراحة لأنه سيغادر.

شعرت مادي بالكدر حقاً وشعرت أكثر بالضعف لأنها عرفت أنه لم يرسل تلك الرسائل. مشت وراءه بحذر: «هل هذا يعني أن الضغط عليّ من أجل البيع سيتوقف؟»

التفت نيك إليها عند الباب وابتسم لها وقد زالت عن وجهه أي إشارة إلى الود. إنها ابتسامة باردة ذكرتها بمن تواجه. تراجعت خطوة إلى الوراء.

ـ لم يتغير شيء يا مادي فما زلت أريد أن ترحلي مع أني أعلم أننا لن نصل إلى اتفاق بشأن فاسكيز. ولكن هناك طرقاً أخرى للإقناع عدا الرسائل، طرقاً أكثر إمتاعاً.

لعنت مادي ضعفها والطريقة التي انعقدت فيها معدتها عندما قال إمتاعاً:

ـ قلتها لك مرة وأعود وأقولها ثانية. لن أبيعك ولوعلى جثتي يا دي روجاس، ولن أذهب إلى أي مكان.

هزّ رأسه: «واجهي الواقع يا مادي، إنك بحاجة إلى معجزة لإنقاذ ارضك. وحتى لو أصلحت أمرها فستحتاج إلى سنوات لتعود إلى طبيعتها، ولا أظنّ أن درجتك الجامعية قادرة حتى على إنقاذ أرضك، فأرضك شبه بور وحتى الكهرباء مقطوعة عندك».

ابتسمت مادي مخفية رعبها من أن تكون قد كشفت له الكثير.

ـ بل لدينا كهرباء فقد استطعت تدبر بعض المال، وحُلت المشكلة. رجاء إذا أنهيت الغرض من مجيئك، فشكراً وأرجو ألا تضيع طريق الخروج.

شعرت مادي برضا عارم وهي تصفق الباب في وجهه ولم تلتقط أنفاسها إلا بعدما سمعت صوت الجيب وهو يزمجر مبتعداً. وضعت رأسها على الباب.

في هذه اللحظة جاءت ماريا من المطبخ: «نحن بحاجة للمزيد من الوقود لمولد الكهرباء. لقد نفد الوقود من جديد».

كادت مادي تضحك لولم تكن خائفة من الإجهاش بالبكاء، لقد كذبت عليه كذبة بيضاء عن الكهرباء حتى لا يرى نيكولاس دي روجاس مدى صعوبة وضعها. ولكن الواقع أنها لم تفعل شيئاً لحل مشكلة الكهرباء. لقد سعت بدون فائدة والآن لم يعد أمامها خيار إلا البحث عن مستثمر.

دفعت نفسها عن الباب. إنها تعرف بالتحديد ممن يمكنها طلب المساعدة. ارتعش جسمها عندما فكرت في طرائقه الأخرى للإقناع التي سيقدر من خلالها أن يظهر مدى جوعها إليه، وفي هذه الأثناء سيتنعم بالانتقام منها على رفضها إياه قبل ثماني سنوات وبسبب علاقة أمها بوالده التي أدت إلى بلبلة عائلية كبرى.

مهما كان قصده، مادي تعرف أنها إذا سمحت لأي نوع من الحميمية بينهما أن تقع، فستكون له القدرة على تمزيقها وهي لن تسمح له بإشباع رغبته في الانتقام.

اشتدت يدا نيك على مقود الجيب وهو يقوده. لقد ابيضت عقد أصابعه من الضغط وعليه أن يسترخي فوراً. إنه لا يشك أبداً في أن مادي تكذب عليه بشأن الكهرباء وهو منزعج لأنه وضعها في الزاوية بحيث اضطرت إلى هذه الكذبة.

اللعنة! ضرب نيك يده على المقود.. ففيما كان يخرج من مكتب والدها شعر بفداحة ما يفعله. فهو أول شخص من عائلته يدخل أملاك فاسكيز وقد فعل ذلك، عن غير تفكير، للتقدم خطوتين منها. لأنه أراد رؤيتها.

تلك الرغبة تجاوزت عذره الضعيف بإعادة حذائها أو بسؤالها عن درجتها الجامعية. فما إن رآها من جديد حتى عادت رغبته فيها بقوة، بحيث يستطيع أن يشعر بمذاقها في فمه. ما زال يتذكر رائحتها ويشمها ويتحسس وجودها طوال تلك السنوات. علماً انه حريص على إبقاء فراشه مشغولاً في الوقت الحالي. والحقيقة أنه حتى لو كان مغمض العينين فهو قادر على أن يشعر بها ولو كانت واقفة في صف طويل، رغم أنه حتى الآن لم ينم معها بعد.

اللعنة! لعنها من جديد. فقد رأى عنادها في كل خطوط جسمها، وهو عرف ذلك لأنها مغروسة عميقاً في أعماقه أيضاً. ورغبته العنيفة فيها تريد أن تفوز وتنتصر.

في طفولته كان نيك طفلاً عليلاً. فأمه عانت من المضاعفات أثناء الولادة ولم تعد قادرة على الحمل ثانية. وأبوه أخذ يشعر بالغضب شيئاً فشيئاً لأن كل أملاكه ستبقى على عاتق طفل هزيل بالكاد يقدر على العيش. وحتى عندما قوي جسم نيك

ظلّ أبوه غير واثق من قدرته كلياً، حتى عندما حقق نيك نجاحاً مميزاً في عالم المنتجات الغذائية وأصبح رائداً فيها في عمر الثامنة والعشرين.

الآن يعرف نيك أن لا علاقة لمرضه بإفراط أمه في حمايته. حاول وهو صغير أن يتغلب على حساسية الربو عبر العزم والإرادة ورغبته في أن يرى والده بدون تلك النظرة المخيفة المليئة بخيبة الأمل.

ما إن أصبح في الثانية عشرة من العمر حتى أصبح أطول من جميع الأولاد في صفه. الربو اختفى وبنيته باتت أقوى من بنية حصان. والطبيب الذي كان يعاينه دائماً قال: «لم أشهد شيئاً كهذا في حياتي»

عرف نيك أنها كانت معجزة، ولكنه كان عازماً بقوة على النجاح. لم يعرف كم كافح ليصبح قوياً ويفوز على مرضه، حتى ذاك اليوم الذي أسرّ فيه لمادي عن معاناته في طفولته. لقد انسلت الكلمات من فمه قبل أن يدرك ذلك حتى، وما يزال حتى الآن يتذكر عينيها الخضراوين الصافيتين وهما تمتلئان بالتعاطف والشفقة مسببة له ألماً في قلبه.

اشتدت يداه على المقود من جديد. والغضب الحار جرى في شرايينه بسبب البساطة التي كان عليها يوماً. فقد انخدع بذاك الوجه الجميل وذاك الجسد الغض. هل تلك الرغبة في ان يكون على صلة وتقارب مع أحدهم هو ما سحره؟

بسبب ما حدث، لم يعد يترك أي امرأة تقترب من مشاعره

من جديد وفي اللحظة التي تظهر أي عشيقة له رغبة في اكتشاف خباياه يقطع علاقته معها.

والحقيقة أن لا علاقة لاعترافه لمادي بأنه يريدها أن ترحل إلى الأبد بمحاولة التخلص من هوسه بها. كانت مشكلة وهو عارف ذلك. يريدها ولكنه يعرف أن عليه أن يقاوم رغبته هذه من أجل سلامة عقله. ولكن العكس هو الصحيح إذ يعرف أن الطريقة الوحيدة ليستعيد رشده هي أن يأخذها بين ذراعيه ويغرق معها لتحرير هذه الرغبة المشتعلة.

في الوقت الذي وصل فيه إلى منزله كان ساخطاً جداً. قرر فوراً الاتصال بمحاميه السابق ليسأله عن الرسائل، وغضبه عائد إلى أن أحدهم فعل ما فعل باسمه.

بعد يومين، كانت مادي مرهقة جداً إذ كانت تشعر، وهي عائدة إلى منزلها مع ما اشترته من بقالة، بأنها تقاتل في معركة خاسرة. فالوقود نفد.

فكرت لبرهة مدى سهولة أن تستسلم.. تتصل بنيك لتقول له: حسناً، لقد فزت. فعندئذ ستحصل على المال الكافي من بيع مزرعتها ليبقى هارنان وماريا يعيشان في راحة ما تبقى من أيام عمرهما.

رأت مادي ملامح مزرعتها عن بعد فغصّت. فمع أن والدها منعها عن العمل في الحقول، إلا أنها تحبها. وحتى وهي صغيرة كانت مسحورة بها. ما زالت تذكر كيف كان أخيها يضعها على كتفيه لتطال عرائش العنب.

غنى دمها هنا، وشعرت بأنها موصولة بهذه الأرض ومواسمها. وطوال تلك السنوات التي بقيت فيها بعيدة ظلت ذكرى أخيها أندز محفورة في ذاكرتها. والآن ها قد عادت من جديد ولن تسمح لنيكولاس دي روجاس بأن يجعلها ترحل من جديد رغبة منه في توسيع امبراطوريته.

ولكنها تواجه معركة صعبة. قبل قليل وهي موجودة في فيلاروزا ذهبت إلى المصرف وقضت فيه نصف ساعة تستمع إلى المدير وهو يشرح لها كم من الصعب عليه أن يعطيها قرضاً حالياً.

لقد كان المصرف آخر خيار لها. ففي الأيام القليلة الماضية قصدت عدة تجار في المنطقة وكل واحد منهم أخبرها بأنه لا يهمه أن يستثمر أرضها. وكان أحدهم صادقاً معها إذ قال لها بصراحة: «نحن بكل بساطة لا نقدر على الوقوف بوجه ده روجاس، فلو وجدنا نستثمر أرضك فسيعلنها حرباً. إنه ناجح جداً ولا نقوى على الانجرار إلى ثأركما»

إذن، حتى بدون أن يرفع إصبعاً، هي ملعونة إلى الأبد بسبب ارتباطها السام بده روجاس.

عندما كادت تصل إلى البيت رأت جيبه الزاهي ورأته واقفاً أمام الجيب عاقد الذراعين. غلى الدم في عروقها، وترجلت من السيارة حاملة الأغراض التي اشترتها.

تقدم ليساعدها ولكنها تمسكت بالأغراض أكثر: «ألم أقل لك إني لا أرحب بك هنا؟»

كانت لديه الجرأة على الابتسام: «هل أنت دائما لاذعة

اللسان عند المساء؟ لعلك امرأة تحب الصباح؟ علي أن أتذكر هذ في المستقبل».

شعرت به مادي يلحق بها. وضعت أغراضها على أقرب طاولة والتفتت إليه واضعة يديها على ردفيها. وكان الأدرينالين قد ذهب بتعبها الذي شعرت به وهي قادمة.

ـ ده روجاس لا مرحباً ولا أهلاً بك هنا. والواقع أني سمعت اسمك في الأيام القليلة الماضية ما يكفيني العمر كله.

رغبت مادي في دفعه جسدياً ولكنها تخاف أن تلمسه. تخاف كثيراً من رد فعلها الذي تشعر به يتذبذب في داخلها. إن حاجتها النهمة إليه تجعلها تتمنى لو تضمه ونعانقه.

اليوم كان يرتدي بطريقة رسمية، وكل إنش في جسمه بدا مسترخياً. وهي أيضاً ارتدت ملابس رسمية أيضاً بسبب مقابلة المصرف. لا بل صرفت القليل من المال لشراء ملابس مناسبة بعد نقد نيك ذاك لملابسها.

وكأنه قرأ أفكارها، إذ راحت عيناه تجولان على تنورتها الضيقة وبلوزتها الأنيقة. ومن ثم تابعت عيناه الزرقاوان تجوالهما صعوداً إلى شعرها الذي عقدته على رأسها.

ـ أحببت المظهر الرسمي. محتشم جداً.

شعرت مادي بأن يدها تحكها. فهي لا تشعر بالاحتشام بل تشعر بالحرارة في كل جسمها.

وقبل أن تستطيع الرد قال: «من الواضح أنك كنت تسعين إلى إيجاد مستثمر. ومزاجك المتعكر يشير إلى أنك لم تكوني محظوظة»

www.elromancia.com

أطلقت مادي في نفسها لعنة وردت بهدوء لا تشعر به: «ليس مفاجئاً ألا يرغب التجار في المنطقة في إزعاج أكثر الجيران نجاحاً. كيف تشعر وأنت ترى أنك رئيس المافيا في المنطقة؟ هل تشعر بالقوة لأنهم لا يجرؤون على مجرد الاستثمار؟ إن ذلك لن يؤدي إلى منافسة عادلة. من السهل النجاح حين لا يكون هناك منافس أبداً»

احمر وجهه لقولها هذا: «لو كان والدك حياً لأخبرك. عائلتك كانت أول من أباد وألغى هذه المنافسة من أجل الحصول على كل شيء. وإذا قمت بتحرياتك فستعرفين أن بعض تجار المنطقة قد تحسن حالهم منذ أن خبت سطوة عائلتكم على المزارعين. وأنا في الواقع قمت بالاستثمار مع بعضهم»

تورد وجه مادي، فها هو مجدداً يقول عكس ما كانت تتوقعه. إنها تكره الطريقة التي يحشرها فيها في الزاوية.

أكمل قائلاً ببرود: «جئت أخبرك أن محامي أبي هو الذي كان يرسل الرسائل، إذ كان صديقاً مقرباً من أبي وعند وفاة والدتي تعهد له بمتابعة حملته في ضرب مصالحكم حتى يضطر والدك للبيع. وأظنه كان واقعاً في حب أمي منذ زمن بعيد. وحينما انتحرت أضمر في نفسه الثأر لها من أبيك بسبب قيامه بإخبارها عن علاقة أمك بوالدي».

جلست مادي على كرسي وراءها، وخيبة الأمل تملأ قلبها. أما آن لهذه الفوضى أن تتوقف عن إرسال سمومها إلى علاقتهما في المستقبل؟

ـ أشكرك على إخباري بهذا.

ونظرت إليه فرأت شيئاً من التأثر على وجهه ولكنه سرعان ما زال.

ـ قمت أيضاً بدفع فواتيرك الكهربائية القادمة.

علا الغضب وجه مادي: «ماذا فعلت؟ قلت لك إن الأمور بخير».

اقترب نيك من أول قابس للكهرباء وكبس زراً، فلم يحدث شيء.

ـ عرفت أنك تكذبين. وأنا أفعل ما أفعل لأنها مسألة ترتبط بالأمان والصحة. لا يمكنني الوقوف مكتوف اليدين وأترك مجالاً لوقوع حادثة ما مؤذية فيما أنا قادر على تجنب أي كارثة. ستعود الكهرباء في أي وقت الآن.

كانت غاضبة جداً ولكنها لم تستطع فعل شيء لأن هارنان كان ماراً بهما يقصد الخروج لإعادة تشغيل المولد الكهربائي وكاد يتعثر بسبب الظلام وهذا ما يهدده بالوقوع والإصابة بكسر أو ما شابه. كيف لها أن تعرّض العاملين عندها لأي أذى برفضها؟ ولكن كيف لها أيضاً أن تقبل؟

ـ كما سبق أن قلت، أريدك أن تذهبي من هنا فقط ولا أتمنى لك الموت. هل هو صعب جداً عليك أن تقولي: شكراً لك نيك؟.

انقبض صوت مادي من الشعور بالعجز: «ماذا تريد مني؟»

اقترب نيك إلى حيث كانت واقفة فبذلت جهدها لئلا يرى

مدى ارتجاف جسمها. كانت عيناه تقيّمانها وكادت تسمع دماغه وهو يدور.

اشتد فكه ومن ثمّ قال بصوت قاس: «تعشي معي الليلة، في منزلي»

ابتلعت مادي ريقها بصعوبة وقاومت رغبتها في الهرب. تمنت لو تستطيع الرفض ولكنه وضعها في الزاوية ولم يترك لها مجالاً للمناورة. إن سلامة موظفيها أهم بكثير من أي شيء آخر.

أخيراً قالت بفظاظة: «حسناً»

بعدما تذبذب الجو بينهما للحظة بالتوتر والوعي ببعضهما، ارتدّ نيك على عقبيه مغادراً. شعرت مادي بأنها خرقة بالية، فتهاوت على المقعد خلفها وعقلها مخضوض ألماً.

لقد سحب البساط من تحتها بكرمه هذا. لذا هو عبر دعوتها إلى العشاء، يطمس الحدود ويعزز حقيقة أنه يشكل بالنسبة لها تهديداً على أكثر من مستوى غير المستوى المهني.

لعلها خطة نيك؟ أن يحطم كل الأماكن حتى يجعلها حيث يريد. ارتجف جسم مادي لمجرد التفكير في نيك وهو يضعها على السرير ويتمدد قربها. ولكنها الليلة ستخبره بكل الطرق بأنها سترفض أي حركة من هذه الحركات وستتعهد له بتسديد كل ما دفعه على الكهرباء.

وتأكيداً لفكرتها أضيء المنزل فجأة طارداً عنه الظلمة وفي هذه اللحظة هرعت ماريا وضمت مادي وقالت بصوت ملؤه العاطفة: «كنت أعرف أن كل شيء سيكون على ما يرام».

* * *

ـ مساء الخير سنيوريتا فاسكيز. تفضلي رجاء.

ابتلعت مادي أعصابها وخطت عتبة الباب. كانت الإضاءة الخفيفة ترسل توهجاً ذهبياً في أرجاء المنزل مذكرة مادي بالسحر الذي شعرت به عندما دخلت المنزل أول مرة. حاولت أن تقوي نفسها ضده ولكن ذلك صعب.

تبعت جيرالدو من الباحة الفارغة إلا من النافورة وأحواض الورود المزروعة في كل الأرجاء، ووصلت إلى غرفة الجلوس الأساسية. وهناك قال لها: «سيكون السينيور معك بعد قليل. إنه مشغول باتصال هاتفي. هل تريدين شراباً ما؟»

ردت مادي: «ماء لوسمحت»

قدم لها جيرالدو الماء ثم اعتذر منها طالباً منها أن تتصرف على حريتها. التقطت مادي نظرة لنفسها في المرآة المقابلة وراحت تمسد تنورتها. إنها مرتدية ذات التنورة التي ارتدتها من قبل ولكن مع بلوزة حريرية رمادية غامقة هي لحسن الحظ لها. كانت البلوزة الواسعة مرتخية إلى جهة واحدة من كتفها فسوتها جيداً فآخر ما تريده هو أن يظن نيك أنها تريد إغواءه.

اقتربت من حائط مليء بإطارات الصور. وراحت تتأمل أفراد عائلة روجاس.

ـ عذراً على التأخير.

اشتدت قبضة مادي على كوب الماء قبل أن تلتفت إليه. كان نيك واقفاً في الباب مرتدياً بنطالاً أسود وتيشرت زرقاء شاحبة مفتوحة عند العنق. شعره الأسود يلمع تحت أضواء الغرفة وتانك العينان الزرقاوان تخطفان أنفاسها.

شعرت مادي فجأة بالخجل وهذا ما جعلها ضعيفة. في السنوات الماضية، كان على عودها أن يقسو حتى تستطيع البقاء والعيش لذا لم تحبّ أبداً هذا الضعف الذي يبعثه فيها نيك بدون أي جهد.

ـ لا بأس! لم أنتظر طويلاً.

اقترب منها ووقف قربها أمام الصور. اومأ برأسه وكان على مادي أن تنزع عينيها عنه بالقوة: «هؤلاء أفراد العائلة وصولاً إلى القرن التاسع عشر قبل أن يتركوا إيطاليا ويأتون إلى هنا».

وجدت مادي نفسها تضحك قليلاً: «لدينا جميعنا جدران كهذه. لطالما تساءلت لماذا يبدو أسلافي عنيفين في الصور؟»

ـ كانت أيامهم عصيبة وكان عليهم أن يكافحوا ليعيشوا.

تعلقت نظرتها بنيك فالطريقة التي قال بها جملته وصلت إلى أعماقها. في تلك اللحظة تذكرت كم كان مريضاً وهو صغير وكم كافح حتى تغلب على ضعف جسده. إنه الآن كامل الرجولة، حيوي جداً بحيث لا يكاد المرء يصدق.

عندئذ خطا نيك إلى الوراء فزال سحر تلك اللحظة. مدّ يده يدلها على الطريق: «دعيني أرشدك إلى غرفة الطعام»

تقدمته مادي متوترة. ولعنته لأنه يذكرها بأشياء ولأنه يتصرف بهذه الشهامة. من السهل التعامل مع نيك عندما تكون حدود المعركة واضحة.

سحب نيك كرسيها وانتظر حتى جلست قبل أن يجلس في الجهة المقابلة لها. إنها مائدة حميمة، عليها شموع.تزيد من سحر الجلسة.

ـ هذا المقبل لفتح الشهية.

رفعت مادي بصرها وقاومت رغبتها في تصليح بلوزتها لتسمح لبعض الهواء بالوصول إلى بشرتها. فقد أصبحت فجأة تغلي.

إنه يلقي عليها تعويذة سحرية حسية وتكره أن تعترف بذلك ولكنها فضولية لمعرفة ماذا اختار لها من شراب.

ـ رجاء لا تسكب لي إلا القليل.

أحنى رأسه وسكب لها بعض الشراب. رفعت مادي الكأس وتذوقته ولكنها سرعان ما شمته وتنفست بعمق. شحب وجهها كثيراً وكان نيك يراقبها بحذر. لم تتذوق مادي الشراب ثانية ووضعت الكأس على الطاولة بيد مرتجفة. نظرت إليه والمشاعر تندفع إلى جسمها: «أهذه مزحة؟»

www.elromancia.com

5 ـ يريدها ولكن!

ادعى نيك البراءة وهو يقول: «لماذا تقولين مزحة؟»

كانت مادي ترتجف من التوتر: «لقد قدمت لي شرابًا من إنتاج فاسكيز. لماذا؟ أكنت تتوقع ألا أدرك ذلك؟ أهذا امتحان لي؟»

وضعت مادي فوطتها ووقفت مذهولة من شدة المشاعر التي تحركت في داخلها.

امتدت يد نيك إليها وأمسك رسغها: «اجلسي. رجاء»

عندما حاولت أن تسحب رسغها من يده، ابتسم نيك بشكل حزين: «أعترف أني كنت فضولياً لمعرفة ما إذا كنت ستكتشفين الشراب»

سحبت مادي رسغها أخيراً ولكنها لم تجلس. بل نظرت إلى نيك بتعبير ملؤه الزهو والفخر: «بالتأكيد سأتعرف إليه. إنه جزء من طفولتي»

العاطفة جعلت صوتها أجش وحاراً. جلست مادي فجأة، حائرة مما تشعر به. ماذا يقصد من وراء فعلته؟

وكأنه قرأ أفكارها، قطب جبينه: «لم أقصد أن أغضبك»

ـ لا كنت تمتحنني، أليس كذلك؟ومن قبل اتهمتني بأنني نلت شهادتي الجامعية عن طريق مضاجعة الرجال.

امتقع لون نيك: «لا، لا أشك في أنك نلت شهادتك الجامعية عبر التلاعب»

حرقت الدموع الحارة عيني مادي فحاولت مقاومتها ولم تشعر بالرضا إلا حين رأت وجه نيك الوجل. إنها تعرف أن العاطفة التي تشعر بها هي نتيجة حزنها على والدها والضغط الذي ترزح تحته ناهيك عن الشغف الذي يوقظه فيها نيك.

بذلت مادي جهدها حتى تتمالك نفسها. التقطت كأسها من جديد وارتشفت رشفة أخرى منه. أغلقت عينيها وهي تتذوقه بشغف.

ـ إنه يذكرني بطفولتي.

كان صوتها خافتاً وهي تتكلم. رفعت نظرها إلى نيك ولكنها سرعان ما أخفضته من جديد عندما رأته يحدق فيها بقوة.

راح نيك يتأمل مادي وأضواء الشموع تتلاعب على بشرتها الشاحبة، رامية عليها ظلالاً غامضة. فوجنتاها متوردتان، وشفتاها ناضجتان مكتنزتان، وجمالها ساحر.

لم ير قط شيئاً حسياً كالطريقة التي تحتضن فيها كأسها. فجمالها الطبيعي يحفر عميقاً فيه وفجأة شعر وكأنه يعود بالذاكرة. لقد أعادت إليه في هذه اللحظات الحنين إلى الماضي، إلى طفولتها وما بعدها.

كانت مادي على وشك أن تأخذ رشفة أخرى عندما نظرت

www.elromancia.com

إليه فرأت تعبير وجه نيك المذهول. أنزلت الكأس إلى الطاولة: «ما الأمر؟»

ـ لا، لم يكن عليّ امتحانك.. ولكنك على ما يبدو تخرجين مني أسوأ ما فيّ.

حاولت مادي ان تقاوم ما تشعر به: «سأعتبر قولك إطراء»

رفع كأسه لها ثم قال: «مرحباً» وارتشف رشفة.

إن بروز سحر رجولته وهو يقوم بأي شيء يسحرها. إنه رجل مميز.

بعدما تم تقديم المقبلات، راحا يأكلان بصمت وهذا ما أراح مادي. وعندما تم تقديم الأطباق الرئيسية ركزت على تناول الطعام متذوقة كل لقمة.

وما فاجأه أنهما استطاعا أن يتبادلا حديثاً متمدناً عن مواضيع محايدة. وعندما قدم لها نيك شراباً تقبلته وهي غير دارية إلى أي درجة تشعر بالارتياح.

بعدما أنهيا شرابهما وقف نيك وأشار إليها بأن تتقدمه إلى الباحة الخارجية. انكمشت معدتها للحظة، فهنا قبّلها في تلك الليلة. وما لبثت أن رأت طاولة صغيرة أعدت لشخصين عليها شموع تتراقص بفعل النسيم.

تقدمته وجلست على الكرسي بعدما سحبها لها حتى تجلس عليه. في هذا الوقت عاد الخادم ووضع لهما حلوى التارت بالليمون الحامض. فتح نيك قنينة الشراب ليشرباه مع الحلوى.

شعرت بأنه يحاول أن يخترق دفاعاتها بتصرفاته هذه فقالت: «ليس عليك أن تفعل كل هذا لأنه لن ينفع»

ابتسم نيك بشكل متحضر: «ما الذي لن ينفع؟. لقد برهنت فكرتك. أنت تشعرين بالسعادة أكثر بالعيش في الدنس على الهروع إليّ من أجل حل مشاكلك الحالية. من الواضح أني أسأت تقدير قدرتك على التعامل مع الصعوبات»

اختفت شهية مادي فقالت: «أنت أسأت تقديري كثيراً، فأنت لا تعرف شيئاً عما حدث لي عندما رحلت عن هنا. يبدو أنك ما زلت تظن أنني ذهبت إلى أوروبا حيث قضيت وقتي في الحفلات والتزلج».

قال بحذر: «لماذا لا تخبريني بما فعلت؟»

أرادت مادي أن ترفض وأن تقول له إن لا شأن له بحياتها. ولكنها كانت ترغب في جعله يفهم أن عودها خشن وأنها من الأشخاص الذين لا يستسلمون، كما كانت لديها رغبة أخرى في تغيير نظرته الهازئة الملأى بعدم التصديق...

ـ عندما غادرت أنا وأمي البيت، ذهبنا بدون أي فلس. فقد رمانا والدي وأدار لنا ظهره بالكامل.

اشتد فمها وهي تتابع: «قضينا ثلاث سنوات في بوينس أيريس عند عمتي التي طردتنا أخيراً. في هذا الوقت كانت أمي قد حصلت على الطلاق ووجدت لنفسها زوجاً آخر غنياً. أعطتني إلى لندن بطاقة ذهاب بدون إياب وتخلصت مني»

لم ترد مادي إخباره بالتفصيل عن أن أمها وضعت اللوم عليها لأنها لم تحصل على أي شيء من طلاقها. راحت عينا مادي بعيداً وهي تكمل:

ـ ذهبت إلى لندن وهناك وجدت عملاً في مكان كنت

www.elromancia.com

أعمل فيه ليلاً في مطعم ونهاراً كخادمة فندق. الليلة التي رأيتني فيها في ذاك النادي كانت محض صدفة، فلم أكن قد قصدت ذاك المكان من قبل ولم يحدث أن ذهبت إليه بعد ذلك.

تـوردت مادي وهـي تتذكر الصـورة التي بـدت عليها بذاك الثوب المكشوف.

ـ عندما جمعت بعض المال انتقلت إلى فرنسا وبحثت عن عمل في الزراعة صيفاً. وانتهى بي الأمر في بوردو حيث أخذني بول في عهدته.

ألقت مادي على نيك نظرة دفاعية: «اكتشف من أين جئت وعرف أن عندي خبرة في الزراعة وقرر أن يمنحني واحدة من منحه الدراسية. ولأن والدي لم يرسل ورائي رغم مرور الوقت، عرض علي بيار عملاً بدوام كامل».

بـدا وجـه نيك خالياً مـن التعابير: «ولكن تلـك المقالة التي وردت في المجلة، تظهر صورة مختلفة».

ولأنها شعرت بأنها انخرطت كثيراً، قررت أن تخبره الحقيقة. ولكـن مرحلـة المذلة عادت ذكراها إليها بقـوة. وأخبرته كل ما يتعلق بأمها ودورها في تلك المقالة.

عندما انتهت وضعت الكأس على الطاولة ووقفت. صدمتها فداحة بسـاطتها فكيف ظنت للحظـة أن نيك قد يكون متحضراً وسـاحراً كما ظهر لها الليلة. مع امرأة أخرى ربما يكون كذلك أما معها، فلا. كان يحاول فقط أن يفقدها توازنها وقد سمحت له بذلك.

ـ أريد منك أن تعرف أنني لا أقع بسهولة في فخ الغنى.

بسـبب الغضب الضبابي الذي كان يشعر به قال نيك: «أنت تستخفين بعزمي على النجاح. لقد برهنت مرارا وتكراراً كم هو عزمي شديد».

حاولت مادي ألا تجعله يرى مدى تأثيره الكبير فيها فقالت: «إذن عدنا إلى حيث بدأنا»

التهبت نظرة نيك التي انتقلت إلى فمها.

تراجعـت مـادي رافعة يدها وكأنها تحاول أن تحمي نفسـها منه. «لا»

ولكنه وصل إليها بسـهولة وسـحبها إليه: «بل نعم، هنا بدأنا وهنا سننتهي»

و.. أحنـى رأسـه في قبلة حارقة مدمـرة جعلت مادي بدون دفاعـات. لا سـيما بعدمـا عرّت نفسـها ومشـاعرها أمامـه بهذا الشـكل. تعلقـت يداهـا بذراعيه وجسـدها كله تقـوس، إذ كان ظهرها يندفع إلى الوراء أكثر وأكثر من قوة قبلته.

شعرت مادي بطعم الدم في فمها فلم تعرف ما إذا كان دمها أم دمـه. كانـت قبلتهمـا عاصفة ولكن هذا مـا تريده فقط. وهي مستعدة لتقديم أي شيء من أجل أن تطول هذه اللحظة.

فجـأة دفعهـا نيك بعيداً عنـه بكلتا يديه قائـلاً: «اخرجي من هنا، مادي»

نظـرت إليه مـادي، مذهولة، مصدومة، متألمـة، حائرة. كان صدرها يتألم وهو يسـحب النفس. رأت الدم على فمه فعلمت أنها عضته.

تمالكت نفسها قليلاً وقالت وهي ترتجف: «بكل سرور. لن

www.elromancia.com

أكون عاهرتك بسبب أرضي. وكلما أدركت ذلك، كان ذلك أفضل».

وقف نيك في غشاوة من الإحباط الجسدي المؤلم للحظات طويلة. فهو لم يعرف كيف استطاع أن يتركها تذهب ولكنه عندما تذكر كيف بادلته قبلته وكيف عضت شفته في خضم رغبتها الجيّاشة التي كشفت عن حياتها في السنوات الماضية، شعر بأن مشاعره معرضة للأذى بشكل كبير.

لقد اعتقد أن مادي وأمها تلقتا الكثير من الأموال. فلم يكن لديه أي فكرة أن والدها طردهما من دون أي دعم، أو أن امها أدارت لمادي ظهرها بحيث اضطرت إلى العمل في عملين تافهين من أجل البقاء.

توجه نيك إلى السياج الخشبي الذي يحيط بالبيت. اشتدت يداه على السياج وسحب نفساً عميقاً وهو لا يزال يكافح لضبط مشاعره ورغبته. إن تقبيل مادي قبل قليل ذكره كيف وقع من قبل في أحابيلها.

لقد ظلت أسبوعاً كاملاً تلف أحابيلها حوله، دافعة إياه الى الثقة بها بسهولة، ليكتشف في النهاية الحقيقة من وراء قيامها بإغوائه. لقد جعلها ذلك تمرض جسدياً. لا يزال يذكر ردة فعلها عندما لمسها فقد سعلت وكادت تتقيأ. انقبضت معدة نيك بقوة. لا شك أنها كانت ضجرانة جداً حتى تجاوزت كل الحدود من أجل شيء مثير محرم.

شيء ما خاص جداً وحساس جداً في نفسه تحطم ذاك اليوم. لقد أصبح أقسى عوداً، لا يمكن اختراقه.

لا امرأة بعدها استطاعت أن تخرق خطوط دفاعاته أو تتحدى تهكمه ولا مبالاته. ولكن الطريقة التي قبلته فيها هذه الليلة والطريقة التي تجاوبت فيها مادي مع قبلته في الليلة الأخرى شكلت تهديداً لسلامة عقله ولكل شيء بناه من دفاعات حول قلبه.

كانت أمه تفرط في حمايته فيما كان والده على العكس من ذلك غضوباً، قاسياً وهذا ما جعله يكره أن يلمسه أحد. ولكن عندما كانت مادي تلمسه، لم يكن يكتفي منها. ما أزعجه الآن أنه كان يعتبر لمسة أي امرأة أخرى متملكة جداً أو مزعجة أما لمساتها هي فليست كذلك أبداً. بل إنها تجعله متوتراً جداً ولا يكاد يرتوي منها.

شيء ما في داخله قسا. إنه يريدها ولكن وفقاً لشروطه هو، فهو يرغب في أن يجبرها على أن تكون صادقة معه ومع نفسها. بعد الآن لا يريد أن يكون هناك أي دراما أو أسف أواتهامات متبادلة. يريد فقط الارتواء ووضع خاتمة نهائية لما يشعر به.

بعد عدة أيام كانت مادي جالسة في مكتب والدها تنظر إلى دعوة أخرى. كانت الدعوة باسم أبيها وهي دعوة سنوية توجهها جمعية مزارعي أمريكا الجنوبية. ستقام الحفلة بعد يومين. في كل عام تقام في مدينة مختلفة أما هذا العام فستقام في بوينس أيريس. أي قريبة جداً.. بعيدة جداً.

www.elromancia.com

تنهدت مادي. إن دعوة كهذه هي ما تحتاجه حقاً، فهي فرصة للقاء من لايزال من الناس يذكرون نجاح فاسكيز في عالم الزراعة. إنها أفضل مكان لتجد مستثمراً. ولكن لا أمل لها بالسفر بالجو إلى بوينس أيرس، إذ لا تملك المال الكافي للسفر جواً.

في تلك اللحظة بالذات رن الهاتف فالتقطته مادي. انتفضت من رأسها إلى أخمص قدميها ما إن سمعت صوته العميق المألوف على الجانب الآخر من الخط. ولكن ما لبثت أن شعرت بالبرودة حالما تذكرت الطريقة التي طردها فيها قبل ليال قليلة. إنها تكره نيك ده روجاس لأنه يكشف ضعفها ورغبتها ولأنه يرفضها.

قالت بصوت بارد جداً: «نعم»

ـ هل تلقيت الدعوة؟

حاولت مادي أن تدعي الجهل: «أي دعوة؟»

ـ أنت كاذبة فاشلة فاسكيز. أعرف أنك ربما الآن تنظرين إلى الدعوة وتفكرين كيف ستصلين إلى مكان إقامة الدعوة للبحث عن مستثمر لأراضيك الميتة.

ـ آه. تلك الدعوة تقصد؟ نعم تلقيتها.. لماذا تسأل؟

ـ هل أنت ذاهبة؟

شيء ما في صوته جعلها تغضب: «بالتأكيد، أنا ذاهبة. ولماذا لا أذهب؟»

ـ لا داعي أن تكوني دفاعية هكذا. أسألك لأنني سآخذ طائرة خاصة وأدعوك إلى السفر معي.

شعرت مادي بالدهشة لكنها لم تلبث أن تمالكت نفسها بسرعة. بعد تلك الليلة يستحيل أن تقبل من هذا الرجل شيئاً: «لا شكراً لك. لدي بدائل أخرى. أراك هناك»

سمعته يتمتم «امرأة عنيدة» قبل أن تقطع الخط. كان قلب مادي يخفق بقوة. عليها الآن أن تذهب، فهي لن تظهر لنيك أي ضعف.

عندما وصلت مادي بعد يومين إلى بوينس أيريس كانت عرقانة، حرانة، متألمة الجسم. فقد ركبت باصاً من مندوزا وصولاً إلى هنا.

جرّت مادي حقيبتها وراءها وانضمت إلى جموع الناس الذين كانوا يتفرقون بحسب الجهة التي يقصدون.

وجهتها هي كانت فندقاً رخيصاً يقع على مقربة من مكان إقامة الحفلة.

عندما وجدت أخيراً غرفة، ونظرت إلى نفسها في المرآة، أدركت حجم العمل الذي ينتظرها حتى تجعل نفسها تبدو بمظهر التاجر الناجح.

لم يعجب نيك هذا الشعور بالترقب الذي يستعر في دمه. إنه معتاد على السيطرة على أعصابه طوال الوقت ولكنه الآن يشعر كأنه على صفيح ساخن، وهو يدرك أن السبب عائد إلى أنه لا يعرف أين هي الآن. لقد كاد يذهب إلى بيتها ويجبرها على القدوم معه بطائرته الخاصة، ولكنه امتنع عن ذلك بسبب ما حدث في تلك الليلة.

www.elromancia.com

وكيف يا ترى ستصل إلى الحفلة؟ يعلم أن من غير الممكن أن تأتي بالطائرة بسبب الإضراب ولهذا السبب طلب طائرة خاصة.

وعندئذ رأى وجهاً أليفاً بين الجموع فابتسم ابتسامة دافئة. أهلاً بالإلهاء.

انقبضت معدة مادي بشدة، فسحبت نفساً عميقاً وخطت إلى قاعة الحفلة. لقد نقبت في ملابس أمها ووجدت ولله الحمد ثوباً مقاسه مناسباً لمقاسها. كان فستاناً أخضر برّاقاً، يصل إلى الأرض ولكنه نسبياً محتشم: أكمامه طويلة وقبّته عالية. إنما عندما تمشي كانت تنكشف إحدى ساقيها بسبب فتحته الطويلة الممتدة على طول الساق. لقد لعنت حظها عندما اكتشفت الأمر ولكن ليس بيدها حيلة حتى تجد طريقة لتحمّل نفقات الثياب التي ستحتاجها.

لقد أنفقت من بطاقة الاعتماد لشراء حذاء رخيص ولتزيّين شعرها عند مزين الشعر وها هو ينسدل على كتفيها متموجاً. عندما رأت مدى الأناقة والبهاء التي يبدو عليهما جميع الحضور في القاعة، شعرت بالسعادة لأنها أنفقت بعض المال. وتمنت ألا يلاحظ أحد أن الحلق الفيروزي الذي تضعه اشترته من محل لبيع المجوهرات المزيفة.

و.. عندئذ رأت نيك. فشدت على حقيبتها بشكل غريزي. لقد كرهت الشعور بالإثارة الذي رقص في شرايينها لمجرد رؤيته من جديد، ولكنه لم يكن ينظر إليها بل إلى امرأة أخرى

واقفة أمامه. كان يبتسم لها بطريقة جعلتها تتوق إلى رؤيته يبتسم لها هذه الابتسامة.

وعندئذ رفع نظرها مباشرة إليها وكأنهما متصلان بسلك تخاطري يجعلهما يشعران ببعضهما أينما كانا. خبت ابتسامته، فرفعت المرأة التي كان يتحدث إليها نظرتها إلى مادي أيضاً، فشعرت مادي بفجوة في داخلها عندما أدركت أنها نفس المرأة الشقراء الجميلة التي رأته معها في الليلة الأولى التي التقته فيه ثانية في ماندوزا.

جاء أحدهم حاملاً صينية عليها بعض أنواع الضيافة فأخذت مادي كوباً من الشراب تلهي نفسها لأنها رأته يمسك بيد رفيقته ويتوجه وإياها إلى حيث تقف مادي. لم تستطع مادي التحرك ووجدت نفسها وكأنها عالقة في مكانها فلعنته لأنه يريد أن يعرفها إلى عشيقته.

اقترب منها أكثر فأكثر وعلى وجهه وعينيه نظرة اهتمام وتركيز. كانت مادي عالقة في مكانها كغزال سلطت عليه الأضواء القوية، والواقع أنه لم يحدث لها قط أن شعرت بأنها على هذه الدرجة من الوحدة والانكشاف. لم يكن عليها المجيء أبداً. كان عليها أن تعرف أنه سيستغل اي فرصة ليذلها.

ـ مادي، لقد فعلتها. ولكني سأقاوم فضولي لأسألك كيف وصلت؟

صوت مادي لم يخرج منها للحظات، ورأت مادي الفضول واضحاً على وجه الشقراء. اجتاح الغضب وجنتي مادي، فلم

يحدث قط أن وُضعت بهكذا موقف. وملأت الخيبة قلبها إذ لم تتوقع أن يبدر عنه مثل هذا التصرف.

ـ أريدك أن تتعرفي إلى إحداهن.

استطاعت مادي بطريقة ما أن تنظر إلى المرأة الأخرى وابتسمت ولكنها شعرت بالخدر. إذ لاحظت أن المرأة أصغر منها بكثير، في العشرين من العمر تقريباً. شعرت الآن بالسقم والقلق وكأنها تريد أن تقلع عينيها من مكانهما.

ـ هذه ابنة خالي، استيلا. أظنك التقيتها في الحفلة التي أقمتها في منزلي. كان عليها أن تكون مسافرة الآن في سفرة عمل كعارضة أزياء. إنها شخص مطلوب جداً، ولكنها أصيبت بحساسية الربيع بعد يومين من وصولها إلى البلد.

نظرت الصبية إلى نيك بحب وضربته على كتفه بطريقة لعوب: «أنت تحب المبالغة. اليس كذلك؟»

أدركت مادي أن الفتاة جميلة ورائعة، تملك حس الدعابة والمرح. ولكنها ويا لراحة بالها «ابنة خالي»!

أجبرت مادي حنجرتها على العمل وحاولت أن تتجاهل الراحة التي سرت في شرايينها: «يسرني أن أتعرف إليك أستيلا»

ـ وأنا أيضاً يا مادي.

والتفتت إلى نيك قائلة: «علي أن أذهب لأجد صديقي، وإلا سيجوب ارجاء المكان كله يبحث عني»

ـ علي أن ألتقي بهذا الرجل الذي يدّعي أنه لن يشاركك غرفة الفندق الليلة.

نظرت مادي إلى نيك فرأت نظرة حازمة على وجهه. تورد

وجه ابنة خاله ولكنها قالت: «نعم، نيك. رجاء لا تعطه المركز الثالث. إنه شاب لطيف حقاً»

وقفزت تطبع قبلة على خده ومن ثم ذهبت كالصاروخ.

كانت مادي مأخوذة بنظرة العطف التي كان ينظر فيها إلى أستيلا، لذا لم تكن مستعدة عندما التفت ناظراً إليها بوجه تحول إلى صقيع بارد.

ـ لقد حجزت لها غرفة في الفندق لأنني لا أريدها أن تعود ليلاً إلى الضواحي. على الأقل بهذه الطريقة سأعرف أنها بخير. والدها هو أخو أمي. مات عندما كانت صغيرة لذا أصبحت بشكل ما محل أبيها.

انقبضت معدة مادي وهي تسمع مدى رغبته في حماية ابنة خاله. قالت: «إنها لطيفة»

في تلك اللحظة صدمها أحدهم فأجفلت، وشعرت بأن أحد ردفيها مرضوض.

ـ ما هذا؟

صوت نيك المليء بالإلحاح جعلها تنظر إليه: «لا شيء. يبدو أنني موجوعة قليلاً بسبب...»

وأوقفت نفسها هنا. ولكن نيك سرعان ما أدرك الموضوع.

ـ ركبت الباص؟ يا لعنادك (منع نفسه عن الشتم) كم استغرقت الرحلة؟ أربع عشرة ساعة؟

لعنته في سرها ومن ثم اعترفت بألم: «بل 16 ساعة عداً ونقداً»

هز رأسه وقال: «أظنك جئت تبحثين عن مستثمر»

تورد وجهها: «وماذا بقي لدي من خيارات؟ إما أجد مستثمراً وإما أفقد كل شيء»

ـ يمكنك أن تصبحي امرأة ثرية جداً.

شيء مؤلم اعتصر صدر مادي وهي تسمعه يعيد مراراً أنه يريدها أن ترحل مهما كان الثمن.

ـ لماذا لا يفهم ذهنك الغليظ أن المسألة ليست مسألة مال؟ أحب مزرعتي وأريد أن أعيد لها مجدها.

فتح نيك فمه ليرد ولكنه سمع نداء يدعو المدعوين إلى الغداء. استغلت مادي الفرصة لتهرب مع الناس الذين توجهوا إلى مكان العشاء، فهي لا تريد إلا الابتعاد عن رجل واحد بالتحديد.

طوال العشاء كان نيك يشعر بمادي على الجانب الآخر من المائدة. لقد جلست بجانب ألكس مورالز أكبر مزارعي أمريكا وأنجحهم وهو رجل لم يشعر قط نيك بالثقة به. وهو لا يفهم سبب ردة فعله تجاهه ولكن حدسه الآن أصبح أقوى.

لم يستطع التركيز على الحديث الدائر على جنبيه لأن اهتمامه انصب على مادي ومورالز.

كان كل ما يتخيله هما عينا مادي الخضراوان وهما تناشدان مورالز حتى يستثمر في مزرعتها البائسة. شعر بضيق في صدره ولكنه حارب رغبته في التوجه إليها وجرها عن كرسيها ليحملها بعيداً.

نظرت مادي إلى رفيق عشائها الساحر وهي لا تكاد تصدق: «أحقاً تريد أن تناقش هذا الأمر أكثر؟»

ابتسم الرجل ابتسامة ساحرة: «بكل تأكيد يا عزيزتي»

لم يطمئن قلب مادي له، ولكنها لن ترفض مستثمراً لمجرد شعور خاطئ يعتريها.

الواقع أنها لا تكاد تصدق أنها حظيت بفرصة الجلوس إلى جانب ألكس مورالز وأنه أظهر اهتمامه حتى بالتعرف أكثر إلى مزرعة فاسكيز. قد يكون هذا الرجل هو الحل لمشاكلها، فإن استطاعت إقناع مورالز باستثمار أرضها فستتحررمن تأثير نيك.

كانت مادي واعية لنظرة نيك المسلطة عليها طوال فترة العشاء ولكنها بذلت جهدها لتجاهله. وبسبب الحماس الذي تشعر به الآن لم تستطع منع نفسها عن النظر باتجاهه. ولكنها كرهت التقاء نظراتها بنظرته الزرقاء وهما تلتقيان بدون أي جهد وكأن هناك مغناطيساً يجذبها إليه. بدا متجهماً كثيراً. ابتسمت فومضت عيناه. تعرف مادي أن تصرفها طفولي ولكن معنوياتها كانت مرتفعة لأن مشاكلها ستُحلّ قريباً.

بدأ الناس ينهضون ويتوجهون إلى قاعة الحفلة التي تم إفراغها ليتمكن الضيوف من الرقص. أخذ مورالز يد مادي ليرافقها. ولكن لمسته طالت أكثر مما تريد مادي وهذا ما أزعجها، غير أنها طردت الشك عنها وقالت لنفسها إن عليها أن تستكشف هذه الفرصة.

انحنى لها بطريقة تقليدية قديمة: «هلا عذرتني؟ علي إجراء مكالمة هامة ولكن بإمكاننا متابعة نقاشنا بعد نصف ساعة إذا أردت».

كان حماس مادي واضحاً: «أنا حقاً أقدّر لك ذلك»

ابتسم مظهراً لها صفاً من الأسنان البيضاء: «رجاء ناديني ألكس. لماذا لا تلاقينني في غرفتي، فلنقل بعد 35 دقيقة؟»

أخبرها ما هو رقم غرفته وكان يهم بالمغادرة عندما شعرت بخوف مفاجئ يقبض عليها. للأسف أن محادثتهما الآن قد تحولت إلى مسار لم تتوقعه حقاً.

وصلت إلى مورالز تمسك ذراعه، فالتفت إليها رافعاً أحد حاجبيه: «نعم»

سرعان ما شعرت بأنها بلهاء: «أنا آسفة ولكن أليس من الأسهل أن نلتقي في مقصف ما هنا؟»

ابتسم مورالز لها ابتسامة استعلاء: «علي أن أجري هذه المكالمة في غرفتي لذا من الأسهل لي أن نلتقي في غرفتي. اينما جلسنا ستكون هناك ضجة وصخباً. إذا كان هذا النقاش هاماً بالنسبة إليك...»

خفت صوته فالتقطت مادي المغزى وشعرت بأن فرصتها تكاد تطير. فسارعت ترد قائلة لنفسها بأنه بدا مقنعاً: «لا، لا بأس بغرفتك. لا مشكلة أبداً»

أحنى رأسه ومن ثم مشى في طريقه، ولكن ليحل محله فوراً شخص أطول قامة وأكثر إزعاجاً. حاولت مادي أن تتقدم مبتعدة عنه ولكنه سد عليها الطريق.

نظرت إليه شزراً: «نعم»

اشتدّ فك نيك وكانت عيناه تومضان: «لا أثق بهذا الرجل»

6 ـ من ينقذها من حماقتها؟

ردّت مادي مستهزئة: «آه، رجاء... يبدو أنك فقط لا تتحمل فكرة أن يرى أحدهم قدرات أملاكي ويرغب في استثمارها»

ومضت عينا نيك: «أظنه يريد أن يستثمر، إنما ليس بالضرورة في أرضك. أين ستلتقين به؟»

احمر وجه مادي ولكنها رفضت أن تجيبه وحاولت تجاوزه ولكنه أمسك ذراعها بقبضة كبيرة. فصرّت مادي أسنانها بسبب ردة فعل جسمها الفورية تجاهه.

كان مرتاباً وهو يقول: «لا تقولي إنك ستلتقينه في غرفته.. أنت لا تملكين شيئاً من الخبرة للتعامل مع شخص مثله. سيأخذك لحماً ويرميك عظماً»

كان رد فعلها عميقاً. فهو لا يعرف كم هي خبرتها معدومة جسدياً وحياتياً في أوضاع كهذه، ولكن كل ذرة من كبريائها كانت تطالبها بأن تظهر له الثقة بالنفس. فنظرت إلى نيك وقذفت شعرها إلى الوراء وأملت أن تنظر إليه باستعلاء بنفس طريقة مورالز.

www.elromancia.com

ـ هل تعتقد حقاً أني لم أقابل في حياتي رجالاً مثل مورالز؟ أعرف نوعه. إنه يريد اللعب بطريقة ما.

ومض وجه نيك وسحب يده عن ذراعها فوراً وكأنها سمّ. فشعرت مادي فوراً بالحرمان.

بدا مشمئزاً منها: «أعذريني لأني فكرت للحظة أنك معرضة لمواجهة وضع لا تملكين أدوات مواجهته. إذا كان هذا هو شكل الاستثمار الذي تريدينه وأنت راغبة في القيام بما يتطلبه ذلك، فعذراً لأنني حقاً أسأت تقديرك وتقدير طموحك»

خطا نيك خطوة إلى الوراء ومشى مبتعداً، تاركاً مادي تشعر بالضعف وعدم الأمان. ماذا كان نيك يقصد عندما قال إنه لا يثق بمورالز؟ تذكرت ابتسامة مورالز الإيحائية فارتجفت ولكنها سارعت تقول لنفسها إنه إذا اقترب منها فستغادر فوراً.

لم يعجب مادي الشعور بالخجل الذي جعلها تشعر به نيك الآن أو الشعور بأنه مهتم بسلامتها. ولكن مادي لم تعتد أن يقاتل احد نيابة عنها عندما تخوض معاركها. لقد كان أخوها الشخص الوحيد الذي ساندها ولكنه مات منذ زمن بعيد.

عندما أدركت أخيراً أنها تقف وحدها في غرفة فارغة، علمت أن عليها أن تتحرك. نظرت إلى ساعتها ولعنت بصمت، فقد حان موعدها مع مورالز. طردت مادي عنها الخوف وأسرعت إلى المصاعد.

كان نيك واقفاً في أحد مقاصف الفندق مع بعض معارفه عندما لمح بطرف عينيه بريقاً أخضر. نظر فرأى مادي تتوارى

في المصعد. انقبضت معدة نيك بقوة وكاد يغشى بصره. لا يكاد يصدق أنها قد تذهب بعيداً إلى هذا الحد. إنه يسيء تقديرها، يسيء تقدير جشعها وطموحها للنجاح مهما كانت الكلفة.

وضع كوب شرابه واعتذر من الموجودين. فقد أدرك متأخراً، بعدما لم تعد واقفة أمامه وبعد القليل من التفكير، بأن تبجحها كان هشاً، ضعيفاً.

حصل بسرعة على رقم غرفة مورالز وخطا خطوات واسعة باتجاه المصعد وكبس الزر. ولكن شيئاً ما أوقفه. لعله أساء فهم الطريقة التي قبلته بها بتلك الحرارة المستعرة؟ لعلها تغير طريقتها بحسب الرجل وتعطي كل واحد منهم ما تظن أنه يناسبه؟ أكانت تلعب به عندما قبلته بالطريقة التي كانت تظن أنها ستؤثر فيه كثيراً، مذكرة إياه بردود فعله الغبية في ذاك اليوم في البستان؟

انفتح باب المصعد وكان يشعر بأنه ممزق، لا يستطيع التحرك. أيريد حقاً الذهاب وراء مادي ويعري نفسه ثانية؟ ها هو يرى وجهها المبتسم عندما فتح مورالز لها الباب. ما الذي سيقوله عندما سيصل إلى الغرفة؟

ـ نيك ها أنت هنا. كنت أبحث عنك في كل مكان. عليك أن تأتي معي لأعرفك إلى لويس. إنه بانتظارك.

أخفض نيك نظره إلى قريبته التي كانت تمسك بذراعه وشعر بأنه دائخ. فجأة أدرك ما هو مقدم عليه ولعن حيرته غير المعهودة. إنه لا يشعر بشيء تجاه مادي عدا سوء الظن وعدم

التعاطف. وبالطبع برغبة ملحة مزعجة. استيلا هي شخص يحبه بدون قيد أو شرط وهي الأهم بالنسبة إليه.

ابتسم لها وقال: «هيا دليني على الطريق»

نحى نيك كل الأفكار المتعلقة بتلك المرأة الساحرة قائلاً لنفسه بأن مادي قادرة على تدبرأمرها.

تجاهل صوت المصعد الملعون وهو ينغلق من جديد.

كانت مادي عالقة في كابوس، فقد أغلقت باب الحمام عليها في جناح مورالز وكان كل جسمها يرتجف. لا تدري كم من الوقت قد مضى، ولكنه ولله الحمد قد توقف منذ دقائق عن الطرق على الباب منادياً باسمها.

وقفت بحذر واقتربت من المغسلة. وحينها نظرت إلى المرآة. كانت عيناها واسعتين من الصدمة وشعرها في فوضى كاملة وثوبها مشقوقاً عند العنق والدم يسيل من شفتها المشقوقة. ماتزال حتى الآن مصدومة وهي لا تكاد تصدق ما حدث معها.

كانت أول إشارة إلى أن هناك خطباً ما هو سكره. فقد بدا سكراناً هنا أكثر مما بدا تحت. في البداية بدا لطيفاً ومهتماً، وحاول أن ينزع سلاحها وجعلها تشعر بأنها تبالغ بردة فعلها. وكان أن حاولت أن تتجاهل واقع أن كلماته تأتي غير واضحة وأنه لا يكاد يقدر على الوقوف على قدميه.

في البداية أخذ يحدثها عن المزرعة ولكنه ما لبث أن اقترب منها واضعاً يده على أعلى فخذها. شعرت بالرعب وارتدت

إلى الوراء بسرعة محاولة التملص من يده. وفجأة كل شيء تغيّر في لحظة، وتحول إلى وحش.

وأثناء مقاومتها إياه، شقّ ثوبها وصفعها على وجهها. ولكن مادي استطاعت بطريقة ما أن تدفعه عنها وتهرب إلى المكان الوحيد الذي وجدته مهرباً لها. راح مورالز يصرخ ببذاءة فارتعبت خائفة من أن يقدر على خلع الباب. أما الآن وبعد دقائق طويلة جداً، فقد عمّ الهدوء. اقتربت من الباب بهدوء كبير وفتحته خائفة من أن يفتحه في وجهها.

رأت مورالز متمدداً على الأريكة غارقاً في النوم. كادت تصرخ من شدة شعورها بالارتياح، وأسرعت بحذر شديد تتحرك باتجاه باب الغرفة. كانت يداها من الارتجاف بحيث كادت لا تقوى على فتح الباب ولكن ما إن انفتح معها أخيراً حتى هرعت خارجة إلى الرواق. وعندئذ أدركت أن حذاءها قد سقط من قدميها أثناء مقاومتها إياه ولكن مستحيل أن تعود إلى الداخل.

أجبرت نفسها على التقدم متوجهة إلى المصعد.

دار نيك حول الرواق عائداً من غرفة أستيلا بعدما أوصلها إلى باب الغرفة، ولكنه وقف في ارضه كالصنم حالما رأى وجهاً مألوفاً يمشي باتجاهه. شعر وكأن شيئاً ينغرز في قلبه. فهو يعرف أنه الطابق الذي توجد فيه غرفة مورالز ولم يعجبه أن يعترف بأنه قرر أن يوصل أستيلا إلى غرفتها ليجد حجة حتى

www.elromancia.com

يأتي إلى هنا. هل كان حقاً يرغب في أن يلتقيها صدفة؟ حسناً. إن رغبته الدفينة تتجلى الآن أمامه.

تدفق الغضب في داخله وكأنه حمم بركانية مشتعلة واشتعل في قلبه شيء أقوى من ذلك بكثير، إنها الغيرة. وهذا شعور غريب لأنه لم يحدث قط أن شعر بالغيرة على امرأة.

في تلك اللحظة رفعت نظرها إليه ورأته. توقفت في أرضها كغزال سُلّطت الأضواء على عينيه فغشي بصره. سمع نيك صوتاً يشبه النحيب يخرج من حنجرتها ولكنها ارتدت على عقبيها وعادت من حيث كانت قادمة.. مبتعدة عنه..

كل ما كان يراه الآن هو شعرها المشعث غير أنه سرعان ما لاحظ أنها تمشي حافية. تصاعد الغضب الأبيض في داخله، فرؤيتها حافية القدمين جعلها تبدو ضعيفة جداً. أحس بالمرارة في فمه وقبل أن يعرف ماذا يفعل، وجد نفسه يلحق بها تسيّره كل شياطين الغضب.

عندما أصبح على مقربة منها ليمسكها، توقف وقال وصوته يرشح سماً: «حسناً. هل أعطيت مورالز كل ما يريده أو جعلته يتذوق القليل لئلا يفقد اهتمامه بك؟»

القرف وشيء آخر هو «الإحباط» طعنا نيك في مكان ضعيف جداً.

توقفت مادي أيضاً وكانت كتفاها مشدودتين ولكنها لم تلتفت إليه: «اتركني في حالي فقط»

بدا صوتها أبح وفجاً وهذا ما زاده غضباً، فما زالت تلعب

على عواطفه. امتدت يده إلى كتفها وأدارها إليه ولكنه عندما رأى وجهها انقلبت معدته رأساً على عقب.

وبشكل غريزي وضع يده على كتفها الأخرى: «مادي، يا إلهي! هل مورالز من فعل هذا؟»

حاولت مادي أن تشيح بوجهها أو أن تخفضه ولكن نيك رفع ذقنها ليفحص وجهها. راح يلعن ويشتم فهزت ذقنها لتحرره من يده وانسحبت إلى الوراء.

ـ ماذا يا نيك؟ هل ستقول لي ألم أحذرك؟نعم لقد حذرتني وقلت إنك لا تثق به.

كانت مادي تكافح لتبقى قوية، فهي لا تتحمل رؤيته شاهداً على مذلتها الرهيبة. فلم يحدث قط ان شعرت بمثل هذا الضعف وهذه الهشاشة، وهي تكره هذا الرعب الذي جعلها ترغب في التعلق بقوته الصلبة. نظرت إلى الأسفل وفجأة أخذت الدموع تخزها.

بدا صوته مليئاً العذاب وهو يقول: «عندما قلت إنني لا أثق به، كان ذلك حدساً. فلم أحبّه قط أو أحب طريقته في العمل ولكن لم يخطر ببالي قط أنه قادر على العنف».

شعرت مادي بالمرارة في فمها: «يبدو أن حدسك صائب»

ثم سأل: «متى حدث ذلك؟ قبل؟ بعد..»

نظرت مادي إليه بخوف كبير ناسية دموعها. إنه يظن أنها نامت معه؟ يا لرأيه الوضيع فيها! وشعرت بأنها ستقع مريضة. ولكن من يمكن أن تلوم غير نفسها بعدما صوّرت لنيك بأنها ذات خبرة مع الرجال؟

www.elromancia.com

فجأة تخلت رغبتها في المقاومة عنها. والصدمة التي خدرتها اختفت وزالت، ولكن الرجفة الرهيبة لم تختف بل تكثفت في كل ذرة من جسدها.

ـ لم أنم معه. لم تكن أبداً تلك نيتي.. لا يمكنني أن أفعل ذلك مع رجل كهذا... للحصول.. على شيء. سمّني ساذجة أو سمني أي اسم آخر ولكنني ذهبت إلى غرفته وكلي اعتقاد بأننا سنتناقش فقط.

أخذت مادي نفساً مرتجفاً وتجنبت عيني نيك ثانية: «ولكنه فجأة انقضّ عليّ ولم استطع الحراك أو التنفس. رأيته يشرب ولكني لم أعلم كم شرب. مزق ثوبي ومن ثم صفعني...»

وما أرعبها أكثر أنها راحت تشهق مجهشة بالبكاء عاجزة عن التوقف. شعرت بالبرد... ولكن فجأة غمرها الدفء وأحست بأنها تُسحب إلى ذراعين قويتين. وأحاطت بها رائحة رجولته وأخيراً شعرت بالأمان، أمان لا يصدق.

كان جسمها ضعيفاً بشكل لا يصدق بين ذراعي نيك، فجسمها النحيل كان يرتجف بعنف. وغريزته بالحماية تغلبت عليه، وهو يريد يائساً أن يصدقها.

أن يراها مسحوقة هكذا لأصعب عليه من أن يراها منتصرة مزهوة. لا أحد يمكنه أن يزيف هذا الرعب الذي يشعر به في جسمها. وفي هذه اللحظة جاءته الذكريات الحمراء. فوالده اعتاد أن يضرب أمه كلما أغضبته وهو يكره العنف ضد النساء مهما كان السبب. أخافه الغضب الذي يشعر به تجاه مورالز بسبب قوته وشدته.

ولكنه وجد أن من الصعب عليه أن يصدق أنها لم تكن مدركة إلى أين كانت ذاهبة بتوجهها إلى غرفته. كيف يمكن أن تكون على هذه الدرجة من السذاجة؟

في أعماقه شعر بالخجل من نفسه وبالذنب لأنه سمح لها بزج نفسها في هذا الوضع، ولأنه سمح لكبريائه بأن يمنعه عن تتبع ما كانت غريزته تمليه عليه، بأن يلحق بها. إن هذه المرأة تحيّره وتشوش أفكاره بحيث يفضل أن تتعرض للخطر على أن يواجهها. إنه حقاً شخص مثير للشفقة.

ظل نيك ممسكاً بها حتى بدأت شهقاتها تخف. كانت يداه تتحركان على ظهرها صعوداً ونزولاً محاولاً تهدئتها.

فجأة شعر بأنه سبق أن واجه موقفاً كهذا في وقت آخر وزمن آخر. عندما أمسك هذه المرأة بين ذراعيه بعدما رآها وقتذاك تبكي. توتر بسبب الألم الحتمي الذي سيرافق تلك الذكريات ولكن للمرة الأولى لم يشعر بذاك الألم.

توقفت عن البكاء والنشيج ولكنها بقيت كالفأرة بين ذراعيه. إنه يشعر بأنفاسها دافئة على قميصه. فجأة ذاب الشعور بالحماية لتحل محله الرغبة. كان جسدها ذائباً فيه وكأنه صُنع من أجله فقط، فكل جزء منه تناسب مع كل جزء في جسمه.

حاول أن يصبر ولكن جسده لم يستطع التوقف عن الاستجابة إلى قربها منه ناهيك عن الطريقة التي يشعر بها بجسمها ينسحق على صدره.

عندما شعر بأن مادي تتوتر وتتململ بين ذراعيه، خفف من قبضته عليها.

أدركت مادي أنها وقعت بين ذراعي نيك كبطة ذابلة فشعرت بالحرج. حاولت أن تنسحب من بين ذراعيه قصداً، وتركزت عيناها الواسعتان على مكان في صدره: «هناك دم على قميصك»

الامر المخزي الآن أن لمسته توقفت عن ان تكون داعمة لتصبح مثيرة لمشاعرها والدم اندفع في هذه اللحظات في شرايينها بشكل يائس شوقاً إلى المزيد.

لم يدعها تذهب بالكامل. فيداه وضعهما على كتفيها ونظرته راحت تبحث عن نظرتها: «إلى أين تظنين أنك ستذهبين؟»

التقت نظرتها بنظرته قسراً خائفة من ان يرى شيئاً من رغبتها المخزية في عينيها. إنها تشعر بأن مشاعرها عارية مكشوفة: «ينبغي أن أذهب إلى فندقي.. اريد أن أستحم. فانا أشعر أني قذرة»

عندما تحركت لتتحرر من قبضته، تركها نيك ولكن ما أرعبها أن ساقيها كانتا من الضعف بحيث لم تستطع الحراك. وكأنها من دون لمسته لن تقوى على الوقوف.

التقطها نيك بين ذراعيه بسرعة فدار رأسها وقال بتجهم: «لا، لن تذهبي إلى أي مكان. بل ستأتين معي»

حاولت مادي الاعتراض فوجودها بين ذراعي نيك بهذا الشكل يجعلها عاجزة وهي الآن ليس لديها القدرة على المقاومة.

كانت شاعرة به وهو يمسك بيدها ويأخذها إلى المصعد الذي صعد إلى الطابق العلوي ومن ثمّ انفتح باب المصعد إلى غرفة مضاءة إضاءة خافتة ـ تطل على سحر ليل بوينس أيريس.

وضعها بلطف على الأريكة وقال: «هل ستكونين بخير لو تركتك دقيقة؟»

هزت مادي رأسها شاعرة بالذنب فالدقيقة التي حضنها فيها نيك جعلتها تشعر بأنها افضل بألف مرة. رفع هامته ورأته يلتقط هاتفاً بيد وباليد الأخرى يحل ربطة عنقه. ومن ثم فك الزر العلوي في قميصه فجف ريق مادي.

إنه يتكلم بصوت خفيض: «أرسل إلي أدوات للأسعاف الأولي. نعم شكراً»

وضع التليفون من يده واختفى في الحمام. ثم سمعت صوت المياه الجارية وما لبث أن خرج نيك: «هل تقدرين على الاستحمام الآن؟»

ما تزال بشرة مادي مخدرة. هزت رأسها إيجاباً فسارع نيك يساعدها على النهوض عن الأريكة.

ـ في الحمام روب للاستحمام. وعندما ستخرجين ستكون بعض أدوات الإسعافات الأولية هنا إذ علي أن اعالج شفتك أولاً.

دخلت مادي إلى حمام عابق بالبخار. اقفلت الباب وراءها ووقفت للحظات طويلة مستندة إليه. وعندما جعلها البخار تشعر بالدوار، بدأت تخلع عنها ملابسها وتوجهت إلى الدوش، تاركة الماء الدافئ ينزل على جسمها بحرية قبل أن تبدأ بتنظيفه بالصابون وغسله جيداً. أخيراً وبعدما شعرت بأنها باتت نظيفة، خرجت من تحت الدوش.

جففت جسمها وفركت شعرها ومن ثم تركته ينزل بكثافة

www.elromancia.com

على ظهرها. بعد ذلك ارتدت الروب وعقدته جيداً على خصرها وفتحت الباب فإذا بنيك أمامها مجدداً.

كان واقفاً هناك وظهره لها، ينظر من النوافذ الضخمة. راح قلبها يخفق بين جنبيها وهي تراه يلتفت إليها. كان حاملاً كأساً في يده ولكنه أسرع يضعه على المنضدة وتوجه إليها.

ـ دعيني أرى شفتك!

وضعت مادي يدها على شفتها فانكمشت ألماً وشعرت بها منتفخة جداً. اقترب نيك وأخذ ذقنها بين أصابعه موجهاً إياه ناحية الضوء، فحبست مادي أنفاسها. إن قربه منها يجعلها تشعر بأن كل أعصابها تخزها ولكنها لم تقل شيئاً، وكانت تشعر بالضياع وهي ترى هذا الجانب منه. تناول قطنة ومطهراً وقال: «سيحرقك قليلاً»

وضع القطنة على شفتها فدمعت عيناها ولكنها لم تقل شيئاً.

ـ على الأقل انقطع الدم. غداً سيزول كل شيء.

ابتسمت مادي وقالت مازحة: «يبدو أنك خبير بالشفاه المشقوقة»

ولكنها فوجئت بأن فكه انقبض وقال فقط: «تعرضت لحوادث من هذا النوع عدة مرات»

ومن ثمّ... شيئ ما لفت انتباهها وقبل أن تدرك ما تفعله أمسكت يده بين يديها: «ماذا أصاب أصابعك؟» فالجلد كان مكشوطاً عن سلاميات أصابعه.

عندما حاول أن يسحب يده، أحكمت مادي الإمساك بها ونظرت إليه بإلحاح.

رد نيك بصوت مشدود: «عندما كنت تستحمين، زرت مورالز»

شهقت مادي: «ضربته؟»

بدا وجه نيك من القسوة بحيث جرت الرجفة في جسمها.

ـ لقد منعت نفسي بصعوبة عن دق عنقه. وكان محظوظاً لأنني اكتفيت بلكمه على ذقنه؟

سيطرت المشاعر عليها ومن غير قصد منها لم تجد نفسها إلا تنحني على اصابعه وتقبل سلامياته حيث الجروح البادية: «أنا أكره العنف ولكن في هذه الحال أنا أشكرك»

بدت عينا نيك زرقاوين وشعرت مادي وكأنها تسقط علماً أنها ما تزال واقفة. ران هدوء عميق في الغرفة حتى قال: «يدّعي مورالز أنك نمت معه»

للحظة لم تفهم مادي ما يقول ولكن لم تلبث الكلمات أن غارت عميقاً في عقلها. أنزلت يده ونظرت إليه مرعوبة مدهوشة: «تظن أنني أكذب»

قالت ذلك بصوت مستو وتراجعت مدركة أنها ترتدي روب الاستحمام فقط وراحت تفكر كيف سمحت لنفسها بأن تعري مشاعرها هكذا أمامه وكيف نسيت للحظة أنه لا يثق بها؟ ما قام به قد يقوم به من أجل أية امرأة مكروبة. لقد فهمت للأسف موقفه البطولي وحمايته لها على غير محملهما.

في اللحظات التي أطبق فيها الصمت عميقاً نظرت مادي بعيداً. فحتى لو حاولت تبرئة نفسها فسيكون الأمر كلمتها ضد

www.elromancia.com

كلمة مورالز ليس إلا. التفتت إلى نيك وقالت: «وهل يهمك الأمر بأي حال من الأحوال؟»

شعر نيك بثقل لا يطاق في معدته. لقد صدقها عندما كانت في الرواق خائفة وجلة. ولكنه عندما واجه مورالز قبل قليل وراح ذاك السكران يقول له: «أتشعر بالغيرة ده روجاس؟ لأنها نامت معي وليس معك؟»، شعر بأنه كالثور الجامح الذي يرى أمامه شيئاً أحمر. والواقع أنه لم يشعر بهذا الغضب منذ سنوات. وقبل أن يعرف ما هو فاعل، لكمه على وجهه.

اشتعل جسم نيك وهو يرى كيف انجرّ إلى العنف، ليس بسبب ما فعله مورالز بمادي بل لمجرد الشك في أنها نامت معه.

والآن عندما أخذت يده وراحت تقبل سلامياته ونظرت إليه، شعر بانه يغرق في بحر عينيها الخضراوين، ويفقد سيطرته على مشاعره. ولكن المرة الأخيرة التي فقد سيطرته على مشاعره بسبب هذه المرأة، كادت تقضي عليه.

راح يحدث نفسه بأنه لم يعد ذاك الشاب الصغير. ولكنها تنغرز شيئاً فشيئاً تحت جلده من جديد معرضة مشاعره للانكشاف ثانية.

دفع نيك عنه ثقل هذه المشاعر وقال: «يهمني ما فعله بك هذا الرجل الذي ارتكب إساءة أما غير ذلك فليس من شأني»

تأذت مادي في الصميم من قلة ثقته بها ولم تستطع أن تصدق أن شيئاً من الحنان قادر على أن يغوي قلبها بهذا الشكل. قالت بصوت حاولت أن يكون بارداً:

ـ أنت على حق. ذلك ليس من شأنك.

توجهت مادي إلى الحمام لتحضر ملابسها، فقال لها من وراء ظهرها: «إلى أين تذهبين؟»

التفتت إليه: «عليّ العودة إلى فندقي. فالباص سيقلني إلى ماندوزا في الساعة السادسة صباحاً»

أطلق نيك شتيمة جعلت مادي تتورد خجلاً، ولكنه ما لبث أن قال: «لن تذهبي إلى ذاك الفندق. الوقت متأخر جداً وأنت غداً ستأتين معي. لن أسمح بأن تسافري ثانية بالباص مدة 16 ساعة».

شعرت مادي بأنها تريد أن تخبط قدمها بالأرض. لماذا لا يدعها تذهب ولماذا لا يدعها وشأنها؟

تصاعدت المشاعر المتقلبة فجعلت صوتها يهتز وهي تقول: «لربما صدقت أنك مهتم لو لم تتهمني بأنني نمت مع رجل من أجل مصلحتي، رجل قادر على العنف. إن البقاء مع الصراصير في غرفتي في ذاك الفندق خير لي من البقاء هنا أعاني من اتهاماتك وسوء حكمك علي»

شوّح بيده في الهواء: «تباً يا مادي. سأحجز غرفة أخرى ولكن يستحيل أن أدعك تذهبين من هنا حتى لو اضطررت إلى حبسك في هذه الغرفة. أخبريني أين هي أغراضك؟»

نظرت مادي إلى نيك غاضبة ووضعت يديها على خصرها: «بل تباً لك، نيك ده روجاس؟تظن أنك شخص كامل؟ كيف تدّعي الشهامة والرجولة وأنت كما هو واضح تنظر إليّ وكأنني فتاة شارع...»

www.elromancia.com

أغلق نيك المسافة بينهما في ثوان. فجأة أصبح قريباً جداً منها فارتدت مادي إلى الوراء ونبضها يقفز في حلقها. إنه مشتعل غضباً.

ـ اسم الفندق ورقم الغرفة... لن أقبل بلا رداً على سؤالي. مفهوم؟

عندما فكرت مادي في الطريق إلى الفندق ورحلتها بالباص كادت تبكي. فما زالت تشعر أنها هشة جداً وضعيفة جداً. لقد اعتقد نيك أنها باعت نفسها هذا المساء من أجل مزرعتها ومع ذلك ما زال مصراً على الاهتمام بها وكأنها رزمة كريهة عليه الاهتمام بها. إنها ترى العزم في عينيه ولا تريده أن ينفذ تهديده بأن يحبسها هنا في هذه الغرفة.

بلعت ريقها بصعوبة وقالت أخيراً: «أزميريلدا، الغرفة 410»

رجع نيك إلى الغرفة بعدما حجز لها غرفة أخرى، وجلب أغراض مادي من ذاك الفندق. إنه يريد الابتعاد عنها بسرعة ليستطيع عقله العمل من جديد بطريقة طبيعية.

في أعماقه هو مؤمن بأنها لم تنم مع مورالز ولكنها عندما وقفت أمامه وعيناها الخضراوان تنظران إليه، أصبح أهم شيء بالنسبة إليه هو أن يضع جداراً بينهما. فدفاعاته انهارت عندما رآها ضعيفة متألمة والطريقة التي تنسل فيها تحت جلده تخيفه وترعبه.

شدّ على نفسه أمام باب الجناح. كان حاملاً حقيبة صغيرة خفيفة الوزن، وهذا ما استغربه فكل النساء اللاتي يعرفهن لا

يسافرن إلا محملات بالأغراض. أما مادي فعلى عكسهن.

عندما فتح الباب ودخل كان يتوقع أن يراها واقفة وقفة دفاعية في ذات المكان الذي تركها فيه. ولكنها لم تكن هناك. بحث عنها أكثر ثم توقف في أرضه. كانت ملتفة على نفسها على الأريكة كروح ضائعة، وكان شعرها الأسود متساقطاً على كتفيها ورأسها قابعاً على إحدى ذراعيها.

انقبض صدره فوضع الحقيبة على الأرض واقترب منها ولكنها لم تحرك ساكناً. غمرته مشاعره فانحنى عليها ورد بعض خصلات شعرها وراء أذنها. كانت شاحبة جداً، وبدا حاجباها شديدي السواد أمام وجهها الفاتح وشفتها المشقوقة بدت واضحة أكثر.

لم يستطع منع نفسه إذ انحنى عليها وطبع قبلة على طرف الشق على شفتها.

كانت مادي نائمة وفي الحلم رأت شيئاً مذهلاً. شعرت وكأنها في شرنقة آمنة دافئة وشعرت بشيء آخر أكثر حرارة، بالرغبة... كانت تحلم بان نيك يلمس شفتيها برقة ويتباطأ وكأنه عاجز عن الابتعاد عنها.

قاومت مادي رغبتها في النهوض وفتحت عينيها ببطء. فإذا بها تنظر مباشرة إلى عينيه الزرقاوين اللتين كانتا تتركزان عليها وفيهما شيء عميق جداً. لم تكن تعرف ما إذا كانت في حلم أم حقيقة.

جربت أن تبعد فمها ولكنها انزعجت لأنها فقدت ذاك الاتصال معه. إنما ما لبث أن زاد برقة من الضغط وشعرت

بقبلته تتعمق أكثر فتأوهت. وبشكل غريزي ارتدت قليلاً إلى الوراء لتفسح له مجالاً على الأريكة.

اشتعلت النيران في عروق مادي. وغرقت يدا نيك وأصابعه في شعرها يضم رأسها بين كفيه ليستطيع تقبيلها كما يشتهي.

شعرت مادي بالفرح وأصابت نشوته دمها. إنه حلم لا تريد أن تستيقظ منه أبداً.

كانت استجابتها له من القوة بحيث عاد يقبّلها بقوة أكبر ونسيا معاً جرحها. ولكن الجرح انشق من جديد حالما سحق نيك فمها.

شعرا وكأن ماء بارداً انصب عليهما. مادي أنّت متألمة ونيك تراجع وكأنه تلقى رصاصة في صدره. اختلطت عليها الأمور وبدت حائرة كلياً. كيف انتهى بهما الأمر يتبادلان القبل؟

لم تشعر مادي بالراحة وهي ترى وجهه يتورد وتعابيره ملؤها العذاب. هرعت إلى الحمام ومنه إلى المرآة. لم يكن على شفتها دم كثير. التقطت أنفاسها وراحت تبلل القطنة وتضعها على شفتها. كانت عيناها متسعتين لامعتين وخداها ملتهبين وأنفاسها متسارعة وكأنها كانت تركض وجسمها يتوق إليه.

عندما تمالكت نفسها قليلاً، خرجت من الحمام فوجدت نيك واقفاً كالصنم، يراقبها بحذر.

ـ أظنني أريد أن أبقى وحدي.

شيء متوحش عبر وجهه وفي خطوتين طويلتين أصبح أمامها مباشرة: «لقد أردت ذلك أيضاً يا مادي. لا تدّعي أنك لم تريديه».

احمر وجه مادي. إن الأذى الذي شعرت به بسبب رأيه الوضيع فيها ما يزال يؤلمها. عليها أن تحمي نفسها. بالنسبة له الأمر مجرد انجذاب جنسي، حتى أنه لم يعن له شيء احتمال أن تكون قد نامت مع رجل آخر قبل ساعات قليلة.

رفع نيك يده وكأنه يريد أن يلمس شفتها ولكنها تراجعت إلى الوراء مذعورة وهذا ما جعل عينيه تومضان بعنف.

ـ شفتي بخير. رجاء اذهب فقط.

نظر إليها للحظة طويلة وكانت عضلة في فكه تتقلص وأخيراً خطا إلى الوراء:

ـ غداً في الساعة الثامنة سآتي لآخذك. فكوني على استعداد.

هزت مادي رأسها.

مشى نيك نحو الباب ولكنه عاد ونظر إليها قائلاً: «لم ينته الأمر بيننا يا مادي. لا، لم ينته بعد..»

7 ـ هل توقّع على استسلامها؟

حمدت مادي ربها لأن نيك بدا غارقاً في أفكاره في الصباح التالي فالرحلة إلى المطار تمت بصمت. نظر إليها مقيماً إياها هذا الصباح فخضعت مادي لفحصه وهويرفع ذقنها بيده لينظر عن كثب إلى الشق في فمها.

إن مجرد لمس هذه الأصابع لوجهها أشعلها من الداخل. ولكنه تركها تذهب معلناً لها: «الورم خفّ. أيام قليلة ويزول أي أثر»

عضت مادي على اندفاعها في الرد عليه بأن بإمكانها أن تعرف ذلك بنفسها ولكن جزءاً ضعيفاً منها أحبّ اهتمامه هذا بها.

كانت مقاعد الطائرة الصغيرة فخمة، مغطاة بجلد عاجي اللون. والواقع أنه أرعبها هذا الدليل الآخر على مدى غنى نيك. اختارت مادي مقعداً على يمين نيك إذ جلس هو على اريكة واسعة.

بعدما أقلعت الطائرة وبعدما رفضت شراباً عرضه عليها، ازداد الصمت بينهما. تمنت مادي لو كان معها كتاب أو ما شابه

لتدّعي الانشغال به. كانت واعية أن نيك يطيل التفكير في شيء ما وهوبعيد عنها بضع أقدام، وكادت تسأله «ما الخطب»

خاطرت بإلقاء نظرة عليه فخفق قلبها بين جنبيها. وبدل أن ترى نظرة زرقاء مراقبة، وجدت رأسه مرتداً إلى الوراء وعيناه مغلقتان. إنها تستطيع أن ترى وجنتيه البارزتين وآثار شعر وجهه الخشن على فكه علماً أنه على ما يبدو قد حلق قبل قليل.

كان قميصه مفتوحاً عند العنق فأغرتها نفسه بإلقاء نظرة على شعره الأشقر الغامق الذي يغطي بشرة سمراء غامقة. رفعت نظرها عن مظهر صدره ورفعته إلى وجهه فتورد وجهها وهي تراه يحدق فيها. لقد قبض عليها تنظر إليه برغبة كمراهقة صغيرة.

رغم تظاهره بالهدوء، إلا أن مادي كانت تشعر بأنه من الباطن متنبه جداً، كحيوان يتأهب للانقضاض. وسرعان ما شعرت بالتوتر.

ـ لدي عرض لك.

ازداد توتر مادي وهي تلف ساقاً على أخرى: «ما هو نوع العرض؟»

انتقلت عيناه إلى ساقيها وهي تلف الواحدة على الأخرى فشدت مادي على فخذيها عن غير قصد. رفع نيك يديه من ظهر الاريكة ووضعهما على فخذيه.

ـ أظنك برهنت لي مدى عزمك على إنقاذ أرضك.

امتقع وجه مادي وهي تفكر في اليأس الذي شعرت به في

غرفة مورالز وكيف هجم عليها. وتذكرت أن نيك أذاها أكثر بكثير منه.

قالت بلهجة ملؤها الدفاع عن النفس: «لن أعيد ما فعلته الليلة الماضية ثانية. كان تصرفاً غبياً مني».

هز نيك كتفيها: «خضت في مياه أعمق من قدرتك على السباحة فيها»

لسعها توبيخه ولكنه صحيح. ارادت أن تحوّل الحديث عن ليلة أمس لأنها تذكرها بمشاعر فجة أخرى كثيرة: «ما هو عرضك؟»

تصورته للحظة يركع على قدميه وينظر إليها بعذاب ويسألها أن تتزوجه. توردت وجنتاها بقوة فضاقت عيناه عليها وفي هذه اللحظة تمنت مادي لو تنشق الأرض وتبتلعها.

ـ ما زلت مصرة على إيجاد مستثمر. ألا تريدين البيع؟

توترت مادي وهزت رأسها: «لن ابيع أبداً»

ـ إذن ستتابعين البحث عن مستثمر.

ـ لا شك في ذلك.

قال نيك بتجهم: «هذا ما أخشاه»

سألت مادي بقلق الآن: «ما قصدك؟»

هزر نيك رأسه: «سيصعب عليك إيجاد مستثمر الآن. فلا شك أن مورالز سيتأكد من تلطيخ اسمك. فإن قال لي إنه نام معك ليلة أمس، فسينشر الخبر على الجميع»

شعرت مادي بالعياء. أرادت ان تصيح وتصرخ بأنها بريئة ولكنها تعرف أنه لن يسمعها.

ـ ماذا يعني ذلك إذن؟

ـ يعني أنك لن تجدي فرصة هنا ابداً. الحل الوحيد لك هو أن تذهبي إلى أوروبا للبحث عن مستثمر هناك.

زاد شعورها بالإعياء. فهي لا تملك مالاً حتى لتسافر إلى هناك، ولا يمكنها أن تطلب من رئيسها السابق أن يساعدها. صحيح أن لديه عملاً مزدهراً إنما لا يكفي للاستثمار بالطريقة التي تريدها. كما أنها تركته بعدما أدخلها إلى الجامعة، ويصعب عليها كثيراً أن تطلب مساعدته وهو من كان كريماً جداً معها. لقد خدمها بما فيه الكفاية.

نظرت مادي إلى نيك شاعرة باكتئاب وقنوط: «إذن ما هذا؟أهو عرض بأن تريني أن حالتي ميؤوس منها؟»

نظر نيك إليها. إنها الآن حيث يريدها. حسناً ليس بالتحديد، لأن ما يريده حقاً هو أن ترجوه طلباً للمسة حب منه. شعر بأنه عديم الرحمة ولكنه نحى هذا الشعور، فليلة البارحة لأكبر دليل على مدى عجزه عن السيطرة على نفسه حينما تكون مادي على مقربة منه.

عليه أن يحصل عليها ولكن عليه أيضاً أن يحمي نفسه من هذا. إنه بحاجة إلى التحكم بضعفه أمامها وما سيعرضه عليها سيؤمن له هذه الحماية.

راقب نيك رد فعلها عن كثب وهويقول: «سأستثمر أرضك»

رشح اللون الأحمر من وجنتي مادي تاركاً بشرتها كالبورسلان وعينيها واسعتين. ولكنها سحبت نفساً فعاد اللون إلى وجهها. أما هو فتحركت رغبته فيها بقوة.

www.elromancia.com

هزت رأسها: «لا، لا، فأنت تريد شيئاً. أنت تريد أن تدمرني»

ابتسم نيك: «في البداية رغبت في أن تذهبي من هنا ولكن منذ عودتك أصبحت الحياة مسلية أكثر»

ارتدت مادي وعقدت ذراعيها على صدرها. نزلت نظرات نيك إلى حيث عقدت ذراعيها وازدادت رغبته فيها. إنه يريد هذه المرأة مهما كان الثمن وإلا قد يجن.

استشاطت مادي غضباً. إذن يظنها نيك مسلية؟ سمعت حركة وماهي إلا ثوان حتى أصبح جالساً في المقعد المقابل لها. وبسط ساقيه على جنبي ساقيها حابساً ساقيها هناك بينهما.

قالت مادي بجرأة: «ماذا تفعل؟»

ابتسم نيك: «أريد ان أريك أنك لا تملكين خياراً آخر غير عرضي. إلا إذا كنت تريدين أن ترى مزرعتك مدمرة وموظفيك بدون شيء بعد سنوات وسنوات من العمل عندكم».

وكأنه يقرأ أفكارها: «إذا تركتني استثمر أرضك، سيبقى هارنان وماريا في أمان، وهارنان سيعود إلى العمل في الأرض من جديد. وسأؤمن كل الأدوات والآلات الزراعية التي ستحتاجينها، وسأؤمن لك عمالاً يساعدونك على الحصاد والانتاج»

لم تستطع عينا مادي الابتعاد عن وجهه وسمعته يردف قائلاً: «سنبرم اتفاقية ونوقعها بحيث تصبح مستنداً قانونياً. وعندئذ سأشرف على الزرع والحصاد وأخذ المنتجات للتصنيع وستعملين في أرضك وتضعين علمك من أجل ازدهارها وبعد سنة أو سنتين سأترك الأرض وتحكمين سيطرتك عليها من جديد»

في مكان ما في أعماق مادي تفتحت بذرة أمل. إن عرض نيك أكثر من كريم.

ـ وهل ستجعل أرضي تابعة لأرضك؟

هز رأسه: «لا يهمني هذا. أحب فكرة أن يكون لي منافس من جديد وأنا مهتم برؤية كيف ستحققين ذلك»

سألت مادي: «وهل ستضع هذا في الاتفاقية؟»

هز رأسه ثانية: «بكل تأكيد. ويمكنك أن تقرئي العقد وتستشيري أي محام تريدين»

صدّت مادي لحظة من الهستيريا. فليس لديها مال لتدفعه على محام. أخذت تقلب ما يقوله في رأسها. فبإمكان نيك أن يتلاعب بها بسهولة ولكنها في الوقت ذاته لن تقطع أنفها نكاية بوجهها.

ـ عليّ أن أدرس عرضك.

ابتسم نيك ابتسامة مقتضبة: «ليس هناك الكثير لتفكري فيه.. أنا أعطيك فرصة لتسبحي أو تغرقي».

بعد تلك الملاحظة، رد جسمه إلى الوراء فارداً ساقيه أكثر، وبذلك حبس مادي أكثر. وضع رأسه على ظهر المقعد وما هي إلا دقائق حتى غفا. شعرت مادي بالراحة قليلاً ففكت ذراعيها وراح رأسها يضج بكل ما قاله لها نيك عن عرضه.

نظرت بارتياب إلى وجهه النائم. لا شك أن لديه أجندته، فلا يمكن أن يكون الأمر بهذه البساطة.

نظرت إلى الخارج فإذا بالأراضي تترامى تحتهما. هذا ما أرادته في الواقع أكثر من أي شيء آخر، فرصة للعمل في

www.elromancia.com

أرضها. فقد حُرمت من ذلك طوال حياتها وعندما عرض والدها عليها أخيراً هذه الفرصة، كان الوقت للأسف متأخراً. والآن نيك ده روجاس، أبعد شخص قد يساعدها، يعرض عليها المساعدة، يعرض عليها فرصة ثانية. وليس ذلك فحسب بل يقدم أيضاً فرصة للعاملين لديها. فماريا وهارنان لن يستطيعا العيش في المزرعة لأجل غير مسمى، وقريباً عليهما أن يتقاعدا. فهما طاعنان في السن ضعيفان.

تنهدّت مادي من جديد وأخيراً تركت إرهاقها يأخذها إلى عالم النوم.

ـ مادي!

استيقظت مجفلة. فقد كانت تحلم به، تحلم بنيك. كانت وجنتاها تخزانها وكأن أحدهم كان يلمسها هناك. وعندما ركزت نظراتها، وجدت نيك منحنياً عليها بحيث كادت ترى خطوط وجهه الصغيرة الممتدة إلى عينيه. شعرت بالحرارة وعرفت فوراً أن ذاك الحلم لم يكن عادياً.

دفعت جسمها إلى الوراء على المقعد مبعدة نفسها أكبر قدر ممكن عنه ولكنها رأت فكه يشتد.

ـ ستحط الطائرة بعد دقائق. اربطي الأحزمة.

ربطت مادي الأحزمة بيدين مرتجفتين، شاعرة بالراحة لأن نيك عاد إلى مكانه على الأريكة. إنها الآن قادرة على الأقل على التنفس بسهولة إذ لم يعد جالساً قبالتها.

حطت الطائرة بهدوء وما هي إلا دقائق حتى كانا في جيب نيك متوجهين إلى ماندوزا ومنها إلى فيلاروزا.

شعرت مادي وكأنها قامت بعشر جولات ملاكمة عقلياً وجسدياً. ألقت نظرة على جانب وجهه القاسي. بدا متجهماً. هل تخيلت ما حدث في الطائرة؟ هل أخبرها فعلاً أنه يريد ان يستثمر ارضها؟

عندما بدت ملامح أراضيها تنفست مادي الصعداء. توقف نيك على الممر الموصل إلى الباب الرئيسي وقال: «تجديد المنزل سيكون من ضمن العقد أيضاً»

خفق قلب مادي فلم تتصور ذلك أبداً. نظرت إليه نظرة قلقة: «لماذا تفعل كل ذلك؟»

بدا وجهه خالياً من أي تعبير: «لدي مال ولا أحب أن ارى أرضاً جميلة كهذه مدمرة»

كافحت مادي لتستوعب ما يقول، فهي لا تستطيع أن تفعل هذا إلا إذا عرفت السبب. دارت في مقعدها لتواجه نيك: «ولكن عائلتينا.. الثأر.. لقد تقاتلنا لوقت طويل. كيف أعرف إن كنت لا تريد أن تنتقم؟»

اشتد فك نيك وومض في عينيه شيء مبهم: «قلت لي مرة إن الثار لا يعني لك شيئاً»

شعرت مادي بالتعب من التفكير: «وقلت أنت الشيء ذاته.. ولكن فجأة انفجر ثانية..»

بدا نيك متجهماً بشكل كبير: «مات أهلنا يا مادي ولم يعد هناك إلا نحن. أنا مستعد للمضي قدماً، إذا كنت راغبة في ذلك»

لم تثق مادي به للحظة. فهي ترى شيئاً ما في عينيه وهذا ما جعل معدتها تنقلب وتتشنّج.

ـ ولكن هناك شرطاً لعرضي، لن نكتبه في العقد.

سحبت مادي أنفاسها: «عرفت أن الأمر أصعب من أن يكون حقيقة. إذن ما هو شرطك؟»

بعد نظرة طويلة، كانت أعصاب مادي خلالها تصرخ من التوتر. أخيراً... قال نيك بنعومة: «ليلة واحدة معي يا مادي، ليلة في فراشي لننهي ما بدأناه منذ ثماني سنوات».

نظرت مادي إلى نيك بعدم تصديق. إنها تعرف ما بينهما وتكاد تلمسه في الهواء ما إن يقترب الواحد منهما من الآخر. كانت تأمل بشكل من الأشكال أن يتجاهل هذا الذي بينهما، ولكنه الآن وضعه نيك بينهما. هزت رأسها وشعرت بحنجرتها مشدودة: «سواء أصدقت أم لم تصدق، لقد عرض عليّ رجل بالأمس هذا العرض وأنا رفضته. ما الذي يجعلك تظن أن هذا سيكون مختلفاً معك؟»

انحنى نيك نحوها ولكن مادي لم تستطع الابتعاد اكثر إذ كانت مسكة باب الجيب تنغرز في ظهرها. وكان نيك الآن قريباً منها بحيث تحس بأنفاسه على وجهها. مرّر إصبعاً على خدها ونزل به تجاه عنقها وصولاً إلى عنق قميصها المشقوق على الصدر وهناك أبقى إصبعه حيث نبضها ينبض بقوة.

ابتسم نيك وكأنه يعرف بالتمام ما يحدث في جسمها.

ـ الأمر مختلف.. مختلف جداً لأنك تريدينني، تريدينني

كثيراً كثيراً بحيث أكاد ألمسه وأشمه.. ولهذا السبب ستفعلين ذلك.

تصاعد الخوف إلى داخلها بحيث كاد يخنقها. فمدت يدها إلى مسكة الباب خلفها، وخرجت بسرعة وكادت تقع لولم تتماسك. ورأته يترجل ايضاً من الجيب. واحتاجت إلى دقيقة حتى انتبهت إلى أنه يمسك حقيبتها بيده، فأخذت الحقيبة منه على عجل.

ابتسم نيك وقال لها فقط: «تعرفين أين أنا يا مادي.. أنا بانتظار ردك»

وأضاف: «هذا إذا أردت أن تنقذي مزرعتك وإن كنت صادقة مع نفسك»

ومن ثم توجه إلى الجيب وشغل المحرك تاركاً وراءه زوبعة من الغبار.

قضت مادي أسبوعاً تحارب ليالي خالية من النوم مليئة بالشياطين وبصوته وهو يقول لها «كوني صادقة مع نفسك». وقضت أيامها تفكر تفكر في أنها وهارنان لن يقدرا أن يفعلا شيئاً بدون تمويل.

قلبت في رأسها مراراً وتكراراً حديثها مع نيك وفي كل مرة كانت تحمر خجلاً عندما تتذكر قوله: «أنت تريدينني، تريدينني كثيراً كثيراً بحيث أكاد ألمس ما تشعرين به واشمه.. ولهذا السبب ستفعلين ذلك»

إنها فعلاً تريده وهي لا تنكر ذلك، فهي ليست على هذه

الدرجة من النفاق. والواقع أنها مرعوبة من الطريقة التي تمرّ بها الأيام وكيف أن عقلها لا ينفكّ عن العودة إليه كالمغنطيس. ولم تدرك كم أصبحت معتادة على رؤيته إلا عندما تشعر بهذا الفراغ الذي تحس به كلما طالت غيبته.

حاولت مادي يائسة ألا تفكر في شرطه لاستثمار أرضها ولكنها للأسف لا تفعل إلا التفكير في هذا الشرط. إن التفكير في القيام بالأمر بهذه الطريقة حيث الحدود واضحة وحيث المشاعر لا تكون متورطة، سيسهل الأمر بدون شك.

تعرف مادي أنه عندما يتعلق الأمر بنيك ده روجاس، تصبح ضعيفة. ولعل خضوعها لشرطه قد يجعلها تغلق أخيراً هذا الفصل من حياتها وتمضي قدماً.

حاولت ألا تفكر في أنها لو قبلت عرضه فهذا يعني أنها ستلتقي به كل يوم لمدة طويلة وبذلك تضع نهاية لحكايتهما. ولكن مرت الأيام ولم تستطع مادي رفع السماعة لتغيّر مسار حياتها.

في نهاية الأسبوع وفيما كانت في وقت متأخر من المساء جالسة في مكتب والدها، جاء هارنان وقد بدا مهموماً:

ـ أنا قلق عليك وعلى هذا المكان. لقد وصلنا إلى حائط مسدود. مادي ليس بمقدورك أن تفعلي شيئاً. عليك أن تبيعي.

تعلقت مادي للحظة بذلك كخشبة خلاص: «ولكن ماذا عنك وعن ماريا؟»

رأت كيف شحب وجهه ولكنه هزّ كتفه ورد عليها: «لا تقلقي علينا، نينا، يمكننا الاهتمام بأنفسنا فأنت لست مسؤولة عنا»

شعرت مادي بأن الأمل مات وبأن ثقلاً كبيراً يكاد يسحق صدرها، فهي تعرف كم تدين هذه المزرعة لهارنان. إذ كان أشبه بالهبة لهذه الأرض وقد لعب دوراً كبيراً في نجاح عمل والدها، لذا لا يمكنها أن تدير ظهرها له ولزوجته.

ـ ربما لسنا مضطرين للبيع..

هب هارنان واقفاً بسرعة يسأل: «ماذا تقصدين؟»

أخبرته بعرض نيك عليها ولكنها لم تخبره بالشرط الذي وضعه مقابل استثمار أرضها.

نظر إليها هارنان وهو لا يكاد يصدق ما سمعه: «ولكن.. ستقولين نعم. أليس كذلك؟ إنها فرصة لإنقاذ اسم فاسكيز... الفرصة الوحيدة»

نظرت إليه: «إنها خطوة كبيرة. كيف أعرف فأنا لا أثق به»

عرفت مادي أنها لا تتحدث عن الاستثمار نفسه، بل عما إذا كان بإمكانها أن تثق بأن ينام معها بدون أن يحطمها. إنها تتحدث عما إذا كانت تستطيع الثقة بنفسها بألا تضيع كل الضياع إن أقدمت على هذه الخطوة.

ارتخى هارنان في مقعده وبدا أكبر سناً بعشر سنوات. فنسيت مادي كل شيء وسألته باهتمام: «ما الأمر؟»

نظر إليها أخيراً ووجهه شاحب: «الحقيقة يا مادي أن ماريا ليست على ما يرام. إنها بحاجة إلى علاج... علاج لا نستطيع تحمل تكلفته»

نهضت مادي ووضعت يدها على ذراع هارنان فقال لها

والدموع في عينيه: «لم نرد أن نقلقك. كنا نفكر أن الحل الوحيد في البيع والذهاب إلى بيت ابننا في بوينس ايريس»

هزت مادي رأسها فهي تعلم جيداً كم يكرهان العيش في المدينة. لقد عاشا هنا طوال حياتهما وأوضاع ابنهما ليست جيدة كما ان لديه عائلة.

ـ لا، لن تذهبا إلى أي مكان. إذا أبرمت هذا الاتفاق مع ده روجاس فسأتأكد من أن تتلقيا العناية الضرورية لا سيما ماريا.

أخذ هارنان يدها ووضعها في يديه المتغضنتين بالتجاعيد: «ولكننا لا نريد أن نضغط عليك، فمسؤوليتنا لا تقع على عاتقك».

شدت مادي على يديه: «أعرف يا هارنان ولكنك بسبب كل السنوات التي قضيتها في خدمة هذا البيت، أنت بحاجة إلى عناية طبية وتأمين، وأنا قادرة على ذلك الآن. سأتصل الليلة بنيك».

أمسك هارنان بيدها يشد عليها والدموع في عينيه. في هذه اللحظة حسمت أمرها.

في الليلة التالية كانت مادي تقود سيارتها متوجهة إلى مزرعة نيك. كانت متوترة جداً بحيث كادت تشعر بأنها ستنقسم قسمين وراحت تجبر نفسها على التنفس العميق. لقد كان يوماً مشحوناً بالانفعالات.

مساء البارحة، اتصلت مادي بنيك وأخبرته أنها موافقة على عرضه بشرط واحد هو أن تتلقى ماريا العناية الطبية اللازمة بأقرب فرصة ممكنة. فلم يتردد نيك ووافق فوراً.

هذا الصباح جاء نيك مع طبيبه الذي قام بمعاينة هارنان وماريا، فقرر الطبيب إدخال ماريا إلى المستشفى وقت الظهر. وعندما رأت مادي هارنان وماريا يذهبان كادت تدمع عيناها.

كانت مدهوشة بمدى الراحة التي شعرت بها حين رؤيتها نيك يصل الى منزلها في الصباح، هذا دون ذكر الإثارة التي شعرت بها في كل خلية من خلاياها. لقد شعرت وكأنها لم تره منذ أشهر. وعندما اقتربت منه، رأت التعب والارهاق على وجهه فكادت تندفع لتسأل إن كان به شيء.

وبعدما غادر هارنان وماريا نظرت إلى نيك وهي تشعر بالضعف والهشاشة: «أشكرك لأنك ستهتم بماريا فهذا هام جداً لهارنان ولي أنا أيضاً..»

ـ لا تقولي ذلك.

وغصباً عنها سألته هناك على بعد خطوات من منزلها: «والآن ماذا سيحدث؟»

نظر إليها فقط نظرة عميقة جعلت مادي تزداد توردا واحمراراً

ـ ستأتين إليّ هذا المساء في الساعة الثامنة.

ولم يردف بأية كلمة أخرى، ومضى في طريقه حيث ركب جيبه وغادر.

حاولت مادي الآن التركيز على الطريق وعدم التفكير في ما ستجلبه الليلة.

كان نيك يمشي في مكتبه، يفكر كم كان مرعوباً مساء

الأمس عندما رنت مادي أخيراً. لقد كادت جدران منزله تطبق على صدره ولم يكن مسروراً ببراثن اليأس التي أطبقت عليه بسبب عدم قدرته على رؤيتها في الايام الماضية. وكم كره ألا يعرف ماذا تفعل. لقد تساءل أتراها ذهبت تبحث عن مستثمر آخر؟ هل وجدت مستثمراً بدون علمه؟

لقد وافق حالما طلبت منه مادي الاهتمام بماريا وكان في الحقيقة مستعداً لأي شيء، أي شيء عدا خرق الجزء الشخصي من الاتفاق: أن تكون له لليلة واحدة.

ليلة واحدة. توقف نيك عن المشي ونظر إلى كروم العنب التي بدأت تتوارى في العتمة. نعم ليلة واحدة تكفي، فهو لا يحتاج عادة لأكثر من ليلة واحدة حتى يضجر من امرأة. فلماذا قد تكون مادي مختلفة؟ ولكن عقله الواعي نهره: على من تكذب؟ فمادي كانت مختلفة عن غيرها من النساء منذ أن تعرفت هرموناته إليها.

مرر نيك يده في شعره بنفاد صبر وارتد على عقبيه. كان على مكتبه رزمة من الأوراق. إنها عقد الاستثمار، وفيها ملخص عن كل ما له صلة بهذه المرأة التي عادت إلى حياته. هذه المرأة التي يريدها أكثر من النفس الذي يأخذه إلى جسمه. والحقيقة أنه لم يدرك كم كان جائعاً إليها حتى سمع صوتها في الأمسية السابقة. ومع أنها كانت تتحدث ببرود، إلا أنه اشتعل من الداخل لمجرد سماع صوتها.

وعندما رآها اليوم، أراد أن يأخذها بين ذراعيه، فرغبته فيها كانت كالوحش الذي يقبض ببراثنه على جنبيه.

إن هذا العقد يعني أن مادي لن تعود بعد الليلة للادعاء بأنها كانت تشعر بالضجرأو أنها نادمة على ما حدث. لأنها لن تستطيع ذلك.. فهي تريد مزرعتها بيأس وتريده هو بيأس علماً أنه يعرف أنها بدون العقد قد تنكر ذلك. ولكن بهذه الطريقة لن تفعل. وهو بذلك لن يضطر إلى الانكشاف ثانية، أبداً.

إذن لماذا عندما نظر إلى الأوراق على الطاولة، شعر بهذه الأوراق تهزأ به؟

نظرت مادي بقلق إلى الصندوق الوردي المغلف بأنشوطة حمراء.. كان الصندوق موضوعاً على السرير وكانت تشعر بأنه يكاد يقفز عليها ويعضّها. حينما وصلت إلى منزل نيك التقت جيرالدو الذي رحب بها بحرارة وأرشدها إلى الغرفة المخصصة لها وكأنهما يعرفان بأنها هنا لقضاء الليلة مع نيك.

أشار إلى الصندوق وقال: «إنه هدية من السينيور ده روجاس، سيراك في غرفة الطعام في الساعة الثامنة. إذا أردت أي شيء حتى هذا الوقت لا ترددي بالطلب مني رجاء»

أخيراً انتبهت إلى الوقت الذي أخذ يمضي. فتحت مادي الصندوق ليكشف عن فستان من الساتان الأخضر الغامق. رفعت الفستان وشهقت فلا أحد يقدر على مقاومة جمال فستان طويل كهذا، فقماشه ثقيل وخفيف كالريشة في الوقت ذاته. إنه بدون حمالات وذي خصر عال يتهدل طبقات طبقات وصولاً إلى الأرض.

وتحت طبقات الفستان، قبع حذاء فضي له حمالات خضراء

وملابس داخلية مخرمة. وكان هناك أيضاً صندوق مخملي. عندما فتحته وجدت فيه حلقاً من الألماس على شكل دمعة، يتماشى معه سوار يناسبه. شيء ما في داخل مادي شعر بالذبول والخجل وهي ترى هذا الثوب الفخم قابع على السرير. ولكنها عادت وأوضحت لنفسها بأن نيك يقدم لها خدمة لأنه يعاملها كعشيقة، فكل ما تفعله الليلة هو جزء من تمثيلية وقد يساعدها ذلك في المحافظة على مناعتها العاطفية.

في تمام الساعة الثامنة كانت مادي واقفة أمام الباب تشعر بالخجل كفتاة صغيرة. فالفستان بدا مثيراً. وقد ارتدت الملابس الداخلية لأنه ليس لديها شيء آخر ترتديه بدون أن يفسد خطوط هذا الفستان وكانت المجوهرات تقبع على بشرتها ثقيلة باردة.

تزينت بأقل ما يمكن من الماكياج وتركت شعرها منسدلاً، لأن يديها في الواقع ترتجفان كثيراً بحيث لا يمكنها أن تفعل شيئاً أكثر دقة. سحبت نفساً عميقاً وحاولت ان تحافظ على ثبات عقلها ومن ثم دقت على الباب قبل أن تفتحه.

كان المشهد في الداخل مغرياً بشكل لا يصدق، فالشموع تتلألأ على طاولة معدة لشخصين. هذه الغرفة مختلفة عن التي أكلت فيها في المرة الماضية. احتاجت مادي إلى ثوان حتى انتبهت إلى وجود نيك الذي كان واقفاً عند النافذة ويداه في جيبيه. كان مرتدياً قميصاً ابيض وبنطالاً اسود وشعره مرتداً إلى الوراء رطباً وكأنه خرج للتو من الاستحمام.

ـ ارتديت الثوب.

أمسكت مادي بمسكة الباب بقوة وقاومت للحفاظ على

توازنها أمام مظهره المغري. حاولت أن تكبح ردها بأنها تلعب الدور الذي يريده هو ولكنها اكتفت بالقول فقط: «نعم، شكراً لك»

أحنى نيك رأسه وقال مبتسماً ابتسامة خفيفة: «يمكنك ترك الباب فلن أعضك»

غمر الحر جسم مادي وهي تتخيله يعض بشرتها الحساسة. وفي هذه اللحظة تركت الباب رغماً عنها ذلك أن أحد العاملين أراد دخول الغرفة. بعدما تحدث الرجل بسرعة مع نيك غادر من جديد. وتوجه نيك إلى منضدة موضوعة جانباً وسكب لها شراباً واقترب منها يقدمه لها.

ـ مرحباً!

ـ مرحباً!

رشفت مادي رشفة مبعدة عينيها عنه لتلقي نظرة على الغرفة.

ـ لقد شفا فمك تماماً.

أعادت مادي نظرتها إلى نيك ولمست غريزياً شفتها حيث الشق.

ـ تبدين جميلة الليلة.

شيء غير مريح كان يخز بشرة مادي. فلم تكن معتادة على الإطراء ولا تعرف كيف تتصرف في موقف كهذا وكل ما فكرت فيه هو ما يبدو عليه في هذه اللحظة من جمال.

ـ وأنت أيضاً تبدو جميلاً.

ردت ذلك بصوت ابح وشعرت بالخجل فوراً فغضت نظرها إلى الأسفل.

ـ يقولون وسيماً وليس جميلاً للرجل.

يا إلهي! رشفت مادي رشفة أخرى من شرابها قبل أن تتفوه بكلمة أخرى غبية. إنها ليست ذات خبرة. ألا يلاحظ نيك ذلك؟

حتى تملأ هوة الكلام بينهما سألت إن كان نيك يعرف شيئاً عن ماريا في المستشفى وأخبرها بأنهم ما زالوا يجرون لها الفحوصات.

قالت مادي بصوت متحشرج: «شكراً لك من جديد. لم يكن هارنان يعرف اين يذهب ولم يكن لديه مالاً يدفعه على علاجها».

قال بصوت جاد: «أنا أدفع لتأمين كل العاملين لدي وسيكون هارنان وماريا جزءاً منهم من اليوم فصاعداً»

شعرت مادي بأن نيك كان سيساعدهم بكل حال من الأحوال. وهذه المعرفة جعلتها لا تشعر بالراحة.

قالت له بلسان لاذع: «وأنا سأصبح أحد عمالك»

ردّ عليها موبّخاً: «شركاء عمل نحن يا مادي...»

وضع نيك كأس شرابه على المائدة بإشارة منه لمادي حتى تجلس. كانت المائدة معدة بأناقة بأدوات فضية وآنية خزفية رقيقة بحيث شعرت بالخوف من أن تلمسها.

المشهد كله كان يرعبها في الواقع.

لا سيما ونيك يبدو ذا خبرة كبيرة وهو جالس بارتياح قبالتها.

بدأ الخدم بتقديم الحساء أولاً. ولكن شعورها بالرعب أخذ

يتفاقم في داخلها بحيث كادت تشرق بالحساء، وكأنهما يتجاهلان ما سيحدث لاحقاً. فنيك يتوقع أن يتوجها إلى غرفة النوم بعد الانتهاء من العشاء. في تلك اللحظة لم تستطع مادي أن تفهم نظرة نيك التي تحولت إلى تجهم منذ أن وصلت.

أدركت مادي أن أمنيتها بأن تتصرف بتجرّد عاطفي ذاب واندثر.

جاء المزيد من الخدم ليأخذوا اطباق المقبلات فشعرت مادي بأنها مضطربة تغلي من الداخل.

عبس نيك وسألها: «هل أنت بخير؟ وجهك شديد الاحمرار؟»

طريقته الفاترة التي سألها بها هي التي هيّجت مشاعر الغضب عند مادي. ارادت أن تصرخ. لا، أنا لست بخير ابداً. ولكنها هبت واقفة فأصدرت الآنية الخزفية صوتاً وهي تقف بتلك السرعة. حاولت أن تخفض يديها المرتجفتين لتدرك أكثر مدى اضطراب مشاعرها. وكان وميض الألماس على رسغها كنار باردة.

ـ لا، لا يمكنني أن افعل هذا، مدعية أن هذا طبيعي فيما هو ليس كذلك ابداً.

www.elromancia.com

8 ـ هنا ابتدأنا.. وهنا ننتهي!

كان ينظر إليها فقط، وكانت مادي تشعر بأن بشرتها كلها تخزها.. أسرعت تنزع المجوهرات، الحلق والسوار.. وفوراً شعرت بأنها خفيفة أكثر.

ـ هذا كله، لا يشبهني. لا يمكنني الجلوس وكأن شيئاً لم يحدث.

هب نيك واقفاً أيضاً. في هذه اللحظة جاء أحدهم يحمل صينية فنظر إليه نظرة تأمره بالعودة من حيث أتى. ومن ثم عاد ينظر إلى مادي وفي عينيه نظرة وحشية شرسة: «ماذا تقصدين بأنه لا يمكنك أن تفعلي هذا؟. لقد تأخر الوقت على التراجع. فإن لم تفعلي ما اريده الليلة، فلن تحصلي على شيء».

تراجعت مادي عن المائدة فتعثرت قليلاً.. عندئذ انحنت ونزعت هذا الكعب العالي المزعج. كان قلبها يعصف بين جنبيها وكانت تتوق إلى الهواء والمساحة وإلى شيء ملموس غير موجود في هذه الغرفة الآن.

ـ إذا كنا سنفعل هذا فسنفعله على طريقتي.. لا يمكني القيام بهذا على هذا الشكل!؟

ولوحت بيديها في الهواء: «مشهد الإغواء هذا.. مزيف كله..»

هرعت مادي إلى الخارج ولكنها تعثرت عند الباب.. رفعت فستانها وراحت تمشي نصف راكضة ونصف ماشية باتجاه باب مدخل الباب الرئيسي. سمعت لعنة من وراء ظهرها واحست به يلحق بها.. ولكنها لم تكن تعرف اين تذهب. خرجت من باب الردهة ونظرت شمالاً فرأت إسطبلاً للخيول. فجأة عرفت ماذا تريد.

أصبحت مادي داخل الإسطبل ففكت لجام أحد الأحصنة وعندما راحت تضع سرجاً عليه، سمعته يسألها متوعداً: «ماذا تظنين أنك فاعلة؟»

سحبت نفساً عميقاً والتفتت إلى نيك بشيء من الخوف ولكنها رفعت كتفيها وقالت: «لست ذاهبة ولكن ما تريده سيحدث على طريقتي أنا»

وجدت مادي صندوقاً، وضعته قرب الحصان لتساعد نفسها على اعتلاء صهوة الجود. وما إن أصبحت فوق، حتى نظرت إلى نيك الواقف تحت.. كان شعره يشع تحت الأضواء.

أحست به يقاوم شيئاً في داخله ولكنه ما لبث أن أطلق لعنة ثانية وخلع سترته وأخرج فرسه من الإسطبل. كان جواداً اسود كبيراً.

وكزت مادي جوادها فانطلق يركض. في الخارج كانت الشمس قد غادرت كبد السماء قبل قليل فبدت جميلة بلونها الليلكي الساحر.

امتدت أمامها الأشجار والكروم وراحت تعدو بجوادها هذه المساحات الشاسعة في امبراطورية نيك ومن ثم انعطفت في الاتجاه المعاكس إلى طريق بعيد عن المنزل باتجاه الحدود الفاصلة بين أراضيهما. وعندما ابتعدت بما فيه الكفاية خففت من مسير الحصان وجعلته يهرول ببطء وسرعان ما سمعت عدواً وراءها. لطالما كانت تشعر بالحرية عندما تكون على صهوة جواد. في هذه الأثناء لم تحاول النظر إلى الوراء خشية أن ترى علامات التهديد على وجهه. أخذ هواء المساء البارد يعانق بشرتها الحارة العارية، وثنيات الفستان راحت تلتف حول ساقيها وحولها بحسب حركات الجواد.

شعرت بأن الجواد الأسود يصبح قربها ورأته يمسك لجام فرسها ويعمل على إيقافه في ارضه. وكان عليها أن تضغط بساقيها على ظهر الجواد لئلا تسقط عن ظهره.

قالت لاهثة: «ما رأيك؟»

سالها بغضب: «إلى أين أنت ذاهبة بحق الله؟»

فتحت مادي فمها وأغلقته وتسارعت انفاسها بسرعة ولكنها ترفض أن يُرهبها وجوده: «أنت تعرف إلى اين نحن ذاهبان؟»

رأت للحظة الكآبة تلوح على وجهه ولكن سرعان ما ذهب ذاك الاكتئاب وومضت عيناه وهو يقول: «لن اذهب إلى هناك معك»

نظرت إليه بغضب وانتزعت من يده لجام الجواد: «إذا أردتني.. أذا اردتني الليلة فسنذهب إلى هناك».

خبا النفس في رئتيه إنما ليس بسبب الإرهاق لأنه من

الداخل كان يشتعل.. فهي تبدو خلابة.. ومنذ لحظة دخولها إلى غرفة الطعام وهو في حالة من الذهول.. إنها أجمل من أية امرأة التقاها يوماً.. وحينما رآها تهمّ بالخروج ارتعب كثيراً وجعله خوفه من أن تذهب، ضعيفاً.

ولكنه الآن ليس في حالة ذهول إذ قال مزمجراً: «ما هذا الذي تفعلين؟ أهذه محاولة مثيرة للشفقة لتظهري نفسك خيالية شاعرية؟ حسناً، أنت تضيعين جهودك علي. أريدك في أقرب وقت إما في سريري أو إذا اردت هناك في الإسطبل»

ضيّقت مادي الخناق على الألم الذي تشعر به عندما كلمها بهذه القسوة، فهزت رأسها وأمسكت لجام الجواد جيداً: «هناك أو لا مكان»

فجأة أدارت الجواد وعادت تحثه على المسير. راح نيك يلعن.. نعم ما يزال هناك بعض الضوء ولكنها معرضة للسقوط عن ظهر الجواد إذ قد يتعثر بحجرة هنا أو شيء ما هناك. ولم يكن أمامه غير اللحاق بها.

عندما وصل إلى البستان، شعر بأنه دائخ. لقد تجنب لسنوات عن وعي وعن لاوعي منه هذا المكان وكأنه مكان موبوء. كان جواد مادي مربوطاً إلى شجرة صغيرة وكانت هي واقفة هناك.. تنتظره. كما حدث في الماضي ولكنها اليوم امرأة ناضجة. كانت كتفاها عاريتين وشعرها كان يبدو في هذا الوقت من الغسق كالساتان الأسود.

ترجل عن جواده شاعراً بأنه مشدود كله من الداخل. ربط الجواد إلى شجرة أخرى، وسار نحوها. بدت عيناها كبيرتين

www.elromancia.com

ووجهها شاحباً أما هو فكان يشعر بأنه معرض للأذى من جديد ولكنه لا يريدها أن ترى كم تؤثر فيه العودة إلى هنا.

الآن وهي واقفة هنا، لم تكد تصدق أنها أقدمت على هذه الخطوة الدراماتيكية. ولكنها تصرفت بهذه الطريقة لتكسر هذا الجو المؤدب الدمث، الذي ران عليهما في غرفة الطعام.

جاء صوتها متحشرجاً وهي تراه يقترب منها: «هنا بدأنا وهنا ننتهي. الآن، وإلى الأبد»

بدا نيك ضخماً في الظلمة، وكأنه ازداد طولاً وقوة. من جديد شعرت برغبة مشوبة بالألم لأنها تذكرت مرة عندما كانت ضعيفة جداً. أخيراً.. رأته يقترب منها فانقطعت أنفاسها.

توقف على بعد خطوات منها وراح يراقبها متشدقاً بالقول: «ما الذي تنتظرينه إذن؟»

اللامبالاة التي يظهرها بعد ذاك الغضب الذي رأته جعلاها ترغب بأن تنهال عليه بالضرب. لقد تصورت للحظة أن عودته إلى هنا قد أثرت فيه عاطفياً.

الحقيقة أنها غير مستعدة أبداً لهذا، رغم تظاهرها بالشجاعة. لقد ظنّ أنها نامت مع مورالز وهو يعتقد أنها امرأة لعوب قادرة على إغواء الرجال فيما الواقع أنها لم يسبق قط أن أغرت رجلاً والسبب واقف أمامها الآن. فالجرح الذي انغرز في قلبها في ذاك اليوم حال دونها ودون البحث عن رفقة أي رجل وباتت مرعوبة من أن تتعرض للرفض من جديد وهذا ما لا تستطيع تحمله.

فجأة اجتاح الغضب جسمها لأن نيك لم يقاس اي شيء

من هذا الألم. وهذا الغضب هيّج مشاعرها فجعلها تمشي إليه وتشده من قميصه إليها.

راحت مادي تبحث بشكل أعمى عن فمه، غير عارفة ماذا تفعل، قائلة لنفسها إنها بعد الليلة ستطلّق كل تلك المشاعر القديمة.

بدا نيك للحظة زاحاً تحت محاولاتها اليائسة. كان عليه أن يدرك أنها لا تملك الخبرة.

عندئذ أخذ يسيطر على الوضع فتغيّر كل شيء في لحظة. فذراعاه الفولاذيتان التفتا حولها مقيدة إياها إليه كالكماشة وأرجع رأسها إلى الوراء لتستطيع شفتاه أن تستكشفا عنقها.

اصبح كل شيء في داخلها مسترخياً وحاراً وسرت الرغبة في جسمها تلسعها.

عندما انسحب قليلاً عنها شعرت أنها دائخة كالسكران. لم تستطع للحظة أن تفتح عينيها ولكن يديه ارتفعتا وأمسكتا وجهها. فتحت أخيراً عينيها لترى بحرين أزرقين.. بحرين أزرقين عاصفين.

أخذت أصابعه تمر على وجنتيها ومن ثم انحنى من جديد عليها يقبلها برقة أكبر هذه المرة وشعرت في هذه اللحظة بأنها تتألم شوقاً إليه أكثر فأكثر.

لقد ذكرها الآن بقبلته الرقيقة هذه بوقت مضى عندما قبلها برقة وحنان قبل أن يتحول كل شيء إلى مرارة. وخزت الدموع عينيها ولكنها حاربتها بقوة حتى لا تتساقط. راح فمه يقبل عنقها ونزل بهما إلى كتفيها.

www.elromancia.com

شهقت مادي وحاولت التراجع فحركته الحميمة هذه صدمتها ولكنه لا يمكن أن يحررها بل راحت عيناه الزرقاوان تجتاحان عينيها بقوة حتى شعرت بأنفاسها تنقطع.

وبدأت يداه تستكشفان وأخذ يسألها: «ماذا تريدين؟»

فتحت عينيها مثقلة بما يجتاحها من مشاعر: «أريد» رغبت في أن تقول أريدك أنت ولكنها لم تستطع النطق بسبب قوة مشاعرها.

توقف قليلاً يعذبها بلمساته: «قولي لي الآن إلى أي درجة تريدينني؟»

لم تستطع مادي التفكير بسبب هذا الهيجان في كيانها كله.. لطالما حلمت بهذه اللحظة: «أريدك يا نيك.. أريدك بجنون.. ولطالما اردتك»

فيما كانا غارقين في بحر من الرغبات والمشاعر شعرت به يعبس ويقول لها: «لماذا أنت مشدودة هكذا؟»

لم تعرف بما تجيب فحاول من جديد وفي هذه المرة نظر إليها عاجزاً عن الفهم: «يا إلهي ! هل أنت..؟»

للحظة طويلة عم التوتر الجو بينهما. أما هو بالتحديد فراحت الأفكار تتطاير في رأسه ولعل الشعور الأكبر الذي سيطر عليه هو الشعور بالفرح. كانت له وستصبح الآن له وليس لأحد آخر.

لقد كان يظنها تمثل عليه حتى عندما عبرت عن مدى رغبتها فيه. وما اكتشفه الآن هشم كل شكوكه وجعل أفكاره تدور في اتجاهات مغايرة لا يستطيع الآن النظر إليها حتى.

لكن الثقة التي رآها في عينيها كادت تمزقه نصفين...

كانت مادي تشعر بالخوف من الألم ولكن هناك شيئاً عميقاً في داخلها ذاب بسبب كلمات نيك الحنونة. شيء ما أقفلت عليه الباب منذ زمن طويل يعود إلى الحياة الآن. إنها تشعر كالمحارب.. تريد أن تحتضن الألم مع هذا الرجل. فوضعت قبلة على كتفه وكأنها بهذه القبلة تخبره أنها تثق به.

في هذه اللحظة عرفت مادي أنها تحب نيك ده روجاس وأنها لم تكرهه أبداً.. لقد وقعت في حبه رأساً على عقب في مراهقتها وهي حقيقة لا يمكن أن تنكرها. والآن... وهي تعطيه نفسها، انغرزت هذه الحقيقة عميقة في كل خلية من خلاياها للأبد.

كانت مادي واعية لرحلة العودة إلى البيت على طريق يضيئه لهما القمر. وكانت واعية إلى أنها تجلس بين ساقي نيك القويتين على الحصان وهو ممسك في الوقت ذاته بلجام حصانها.

كانت إحدى ذراعيه تطبقان بإحكام على خصرها وهي لم تكن قادرة عن إيقاف رأسها من الغرق في صدره لأن النعاس والهدوء اجتاحا كل عظمة وخلية في جسمها.

إن وجود مادي قريبة جداً منه هو نوع من العذاب اللذيذ الذي لا يريده أن ينتهي أبداً. كان دماغه يترنح من قوة المتعة التي لم يختبر قط مثلها مع أية امرأة أخرى.

راحت الأفكار تتدافع وتتسابق في رأسه ولكن الفكرة التي

تفوقت عليها كلها. «إنها عذراء». وهذا يعني أنها لم تنم مع مورالز.. مع أنه في أعمق أعماقه كان مؤمناً بذلك إلا أن جزءاً منه كان غير راغب في التوقف عن الشك.

لقد أعطته نفسها بشغف وبدون خجل أكثر من أي امرأة عرفها رغم خبرتهن في هذا المجال.

كل شيء كان يطيح بقدرته على ضبط النفس. صدره مثقل بالمشاعر وهو لا يستطيع أن يوقف نفسه عن ضمها بإحكام إلى صدره أو أن يوقف النشوة التي تهمس في داخله كلما تهادت أنفاسها الرقيقة على بشرته.

لم تستيقظ مادي من غفوتها إلا عندما وجدت نفسها محمولة على ذراعيه متوجهاً بها إلى بيته. لم تكد تستطيع رفع رأسها، فهذا الهمود الذي تشعر به يتغلب على كل شيء وحتى على عقلها حيث تحوم فيه أفكار خطرة.

نظرت مادي إلى وجهه.. وبدون أن تفكر في ما كانت تفعله رفعت يديها تضم فكه بين كفيها شاعرة بوخز الشعر النابت على وجهه.

ثم سمعت الباب يخبط على الحائط وإذا بها في غرفة مضاءة إضاءة خافتة، غرفة رجل. إنها غرفة نوم نيك.

أنزلها نيك بلطف على طرف السرير فأجفلت عندما تلامسا.

طبع نيك قبلة رقيقة على شفتيها وقال: «أمهليني دقيقة وسأعود»

راقبته عاجزة عن الكلام وهو يقف متوجهاً إلى الحمام..

وعندئذ فقط انتبهت إلى قميصه المشقوق الذي شقته له وكأنها امرأة مجنونة. غار قلبها بين ضلوعها فحاولت من جديد أن تقاوم هذه المشاعر الخطرة التي تغزوها من جديد.

عندما عاد نيك إليها، كان عاري الصدر فقد نزع عنه قميصه المشقوق.. بانت عضلات صدره المفتولة.. فانقبضت معدة مادي.. يا إلهي ! إنه أجمل مما تظن.

وصل إليها فاندفعت إلى ذراعيه وكأنها مشدودة إليه وحده بمغناطيس. استرخت على صدره ملهوفة إلى الشعور بالأمان في حضنه. راحت يداه تجوبان جسمها بجوع ولكنه أوقف نفسه وأنزل يديه قائلاً: «لا، إذا بدأت الآن فلن أقدر على إيقاف نفسي. عليك الآن تستحمي»

ابتعد عنها وتوجه إلى الخزانة ليأخذ قميصاً بدل الذي خلعه. راحت تنظر إلى ظهره فرأت خطوطاً بيضاء تمتد على ظهره، فحاولت الاقتراب منه وسألته ووجهها أبيض من شدة الشحوب: «ما هذه العلامات على ظهرك؟»

شعرت بعضلاته تتوتر فبانت الندوب أكثر فأكثر. في هذه اللحظة عادت بها الذاكرة إلى ذاك الوقت قبل ثماني سنوات، عندما رأت رجال والده يهمون بضربه لإجباره على القدوم معهم.. وجعل الهلع الدم في جسمها بارداً كالثلج. أجبرت قدميها على الاقتراب أكثر ووقفت أمامه: «تعود هذه الآثار إلى ذاك اليوم. أليس كذلك؟ أولئك الرجال... ضربوك؟»

نظر نيك بتجهم وصرّ على أسنانه سائلاً إياها ببرود: «ما الذي يهمك؟»

زال كل أثر للشغف من وجهه والرفض بان في كل خط من خطوط جسمه. لم يبد قط أكثر بعداً، أما هي فلم تكن قادرة على إخفاء رعبها.

كان صوت مادي غارقاً بالعذاب وهي تقول: «أريد فقط أن أعرف ماذا حدث؟»

نظر إليها فإذا بعينيه كقطعتي جليد فارتجفت.

رفع حاجبه: «أنت تريدين حقاً أن تعرفي التفاصيل المقيتة؟»

9 ـ نقطة اللاعودة

أومأت مادي برأسها مع أن قلبها كان يخبط بين جنبيها. لا يمكن أن تكون هذه التفاصيل مقيتة أكثر مما عرفته في ذاك اليوم الكارثي.

كان صوت نيك خالياً من أي تعبير: «جلبني رجال والدي إلى المنزل، وأخبروه بالوضع الذي وجدوني فيه معك. غضب والدي غضباً لم يسبق أن شهدته منه أبداً. أخرجني إلى باحة الإسطبل وأمر الرجال بأن يمسكوني راكعاً على قدمي ثم راح يجلدني بالسوط»

لم تستطع مادي إلا النظر إليه. فكل ما كانت تراه في عيني عقلها وجهه عندما رأته في اليوم الثاني على الحادثة، قبل أن يتحول وجهه إلى قسوة وبرودة. كان شاحباً.. ولا بدّ انه كان يتألم ومع ذلك عاد ليراها. لعله لم يقصد تلك الكلمات الرهيبة التي قالها لها ذاك اليوم. لعله كان مثلها يحمي نفسه من رد فعل مبالغ فيه.

إن ما اكتشفته الآن جعلها ضعيفة من الداخل ولكن نيك أكمل كلامه: «يبدو أن علاقتي بابنة عشيقته السابقة ضغطت

www.elromancia.com

على زر أو زرين حساسين في نفسه علماً أني في ذاك الوقت لم أكن أعرف بعلاقته بأمك»

بدأت مادي ترتجف بقوة عاجزة عن طرد صورته وهو يتعرض للضرب بالسياط.

التقط نيك الرعب في عينيها فقال: «لا تحاولي تمثيل هذا المشهد أمامي. أظنك كنت معجبة بالميلودراما التي سببتها علاقتنا. أليس ذلك ما كنت تبحثين عنه لقتل الضجر؟»

ميلودراما، ضجر... كادت لا بل صرخت متألمة، فليس لديه فكرة. لقد ضرب بالسوط بسببها.. لم تستطع مادي أن توقف مشاعرها عن الغليان.. وضعت يدها على فمها وهرعت إلى الحمام ووصلت في الوقت المناسب إذ بدأت تتقيأ وبعدها مدت يدها إلى المنشفة.

شعرت به وراءها فراحت ترجوه: «اتركني وحدي رجاء»

ولكن صوته جاء مشدوداً وهو يقول: «دعيني أساعدك»

وقبل أن تستطيع الاعتراض رفعها واضعاً قطعة قماش رطبة على وجهها، ثم قدم لها فرشاة ومعجون أسنان. وما إن انتهت أمسك يدها وأخذها إلى غرفة النوم. حررت مادي يدها منه وجلست على حافة السرير.

وقف نيك ونظر إليها حائراً: «أنت حقاً لغز يا مادي فاسكيز.. لقد خططت لمضايقتي منذ سنوات وعندما أخبرتك بما حدث، تمرضين»

قالت بصوت متحشرج: «لم أخطط قط لمضايقتك أو لإذلالك. اقسم برحمة والدي أنني لم أخطط لشيء. عندما

تبعتني في اليوم الأول على لقاءنا كنت خائفة ومسرورة في آن معاً.. لقد اردتك بقوة. ولكنني لم أخطط لإغوائك»

ازداد صوتها حشرجة: «ذاك الأسبوع عنى لي الكثير»

انحنى نيك إليها وأمسك ذراعيها بيديه ساحباً إياها لتواجهه: «لا تحاولي أن تكتبي التاريخ من جديد.. لقد أغويتني يا مادي لأنك كنت ضجرانة. لقد كان ذاك اليوم بالنسبة إليك تسلية ليس أكثر»

هزت مادي رأسها بقوة: «لا، أبداً. لقد اردت رؤيتك مجدداً»

شعرت مادي بأنها على حافة جرف. ولكنها شعرت أيضاً بأنها غير قادرة على إخباره بكل الحقيقة واكتفت بأن قالت له شيئاً من الحقيقة: «بعدما اكتشفونا، وأعادوني إلى البيت، حدث بيني وبين أمي شجار كبير. أخبرتني عن علاقتها بوالدك والذي حدث أن والدي كان يسترق السمع، فسمعها...»

واجهت مادي نفسها ثم تابعت القول: «عندما رأيتك في اليوم التالي، لم أستطع إخبارك عن العلاقة.. كنت خجلة من نفسي وكنت خائفة مما قد يحدث إذا عرفوا أني التقيتك ثانية. كان علي أن اغادر لذا قلت أكثر شيء مؤذ فكرت فيه.. ولكنني لم اقصد كلمة مما قلت»

شعرت مادي بأنها عرّت مشاعرها بالكامل. لقد كشفت له مكنونات قلبها. نظرت بعيداً خائفة من أن يكون قد رأى مشاعرها والكذب في عينيها، أن يرى ما لم تقله له، الحقيقة المظلمة.

حررها ثم رفع ذقنها فاحصاً إياها: «قبل أن يأتي والدك إلى

عند أمي، أي بعد اسابيع على الحادثة، اعتقدت أنك رحلت وأمك لأنك كنت تريدين الابتعاد عن المنطقة وعني بالتحديد»

هزت مادي رأسها متألمة من تفسيره للأحداث. فجأة شعرت من جديد بالغثيان. لعل نيك يعرف الحقيقة المظلمة التي أخفتها في قلبها منذ زمن.

قالت بتردد: «ماذا قال والدي لأهلك بالتحديد؟»

خطا نيك خطوة إلى الوراء وراح يمرر يدها في شعره: «لقد كانت أمي من يريد محادثتها. كان والدي بعيداً في ذاك اليوم. ما زلت أذكر الهستيريا التي أصيبت بها عندما أخبرها عن علاقة والدي بوالدتك. ويومذاك اضطرت لجلب الطبيب ليعطيها مهدئاً. وبعد عدة أيام أخذت جرعة زائدة من الأدوية تاركة ملاحظة بأنها عرفت كل شيء. لقد كانت علاقتنا بالنسبة إلى أبي أكثر من كافية ليتكدر ولكن بعد انتحار والدتي عاد العداء حياً من جديد. وأخيراً سبب الغضب لوالدي نوبة قلبية...»

تقلصت معدة مادي بقوة. يبدو أن والدها لم يخبرها بكل شكوكه حول أبوة مادي.

لم تستطع مادي منع نفسها عن التقدم منه لتلمس ذراعه: «أنا آسفة»

ابتسم نيك ولكنها ابتسامة ملؤها المرارة: «لم تكن والدتي في حالة عقلية سوية حتى في أحسن أيامها. إذ كانت تعاني ربما من الاكتئاب الهوسي ولكن على ما يبدو لم يتمّ تشخيص حالتها أبداً»

شعرت مادي وكأنها تدوس على البيض: «لا شك أن الترعرع في منزل فيه هذا التباين والاختلاف صعب جداً»

ابتسم نيك بصعوبة وانسحب من لمسة مادي. فسقطت يدها:

ـ يمكنك قول ذلك.. اب يحاول أن يقوي ابنه الضعيف وأم تبكي بصمت في الزاوية.

انقبض قلب مادي وهي تسمعه يشير إلى مرضه ثانية، شاعرة بشيء لم تستطع تسميته. فقالت مادي بلمسة تحد: «ولكنك تغلبت على مرضك وأثبت له خطأه»

عبر وجهه شيء حزين: «حتى بعد ذاك لم يستطع أن يحترمني».

اغرورقت عينا مادي بالدموع فلم تكن تعرف أن أباه تعامل معه بوحشية ذاك اليوم.

لا بد أن نيك رأى عيونها المغرورقة بالدمع إذ قطع المسافة الفاصلة بينهما وقرب جسمها منه.

ـ أعتقد أنه حان الوقت للتوقف عن هذا الحديث وتذكر ما الغاية من هذه الأمسية.

تساقطت الدموع على وجنتيها ولكنه كان عنيفاً وهو يدفعها إلى مكان لا وجود فيه للكلمات. وأخيراً استسلمت مادي فأحاطت عنقه بذراعيها مذعنة فنحيب العاطفة تحول إلى نحيب الحاجة والرغبة تحت لمسات نيك المتسلطة.

عندما استيقظت مادي في صباح اليوم التالي، احتاجت

www.elromancia.com

بعض الوقت حتى أدركت أين هي وماذا حدث. كان جسمها متألماً ولكنه ألم ممتع.

تأوهت مادي متذكرة كل ما حدث: الثوب، العشاء، البستان... والعودة إلى هنا.. إلى غرفة نيك.. فتحت عينيها على اتساعهما ونظرت حولها. لا، هي غير موجودة في غرفة نيك علماً أن الفجر قد بدأ يتشقق عندما نامت أخيراً.

لا بدّ أنه أرجعها إلى الغرفة التي أراها إياها مساء البارحة.. سرعان ما شعرت مادي بالهشاشة لمجرد التفكير في أنه وضعها هنا وهي نائمة وكأنه انتهى منها وكأنه لم يستطع تحمل وجودها لحظة أخرى معه.

سماعها قرعاً على الباب، اجفلها. وشعرت مادي بشيء من الخوف من أن يكون نيك الطارق، فهي غير مستعدة لرؤيته. ولكن من دخل الغرفة كانت نفس الفتاة التي أرشدتها إلى غرفة الطعام. عمت الراحة قلب مادي وهي تراها تحمل إليها صينية عليها الفطور.

جلست مادي وهي منتبهة إلى عريها تحت الشراشف. وضعت الفتاة الصينية على الطاولة وقالت لها: «لدي رسالة من السيد ده روجاس، يقول إنه سيراك بعد الظهر في منزلك»

شعرت مادي بطابة تقعد في معدتها.. شكرت مادي الفتاة وبعدما خرجت نزلت عن السرير ووضعت منشفة حولها ثم توجهت إلى النافذة ناظرة إلى الخارج. إن منظر بساتين وكروم العنب المترامية مذهل حقاً.

وعندئذ رأته يقطف بعض الثمار.. انكمشت مرتدة إلى الوراء مع العلم أن لا مجال أن يراها من حيث هو ولكنه في تلك اللحظة نظر إلى فوق باتجاهها. ولكنها تفادته وراح قلبها يخفق بقوة، فالشعور بالمذلة كان يحرقها من الداخل.

لم يتنازل حتى ويأتي بنفسه ليخبرها.. فالليلة انتهت ونال هو ما أراد وكأنه بذلك أراد أن يعري مشاعرها وأن يهجرها كما فعلت معه قبل ثماني سنوات. إن كان قد شعر بشيء يوماً تجاهها فذلك كان منذ زمن بعيد.

لعن نيك نفسه لأنه استرق النظر إلى غرفة مادي ولأنه اشتهى أن يراها. لقد كانت نائمة بعمق عندما حملها إلى الغرفة الأخرى، وكانت بشرتها شاحبة فيها بعض الكدمات التي كانت نتاج قوة شغفه البارحة.

وحتى الآن ما يزال دمه يندفع حاراً بقوة، فراح يلعن بصوت عال. قطف ثمرة عن الشجرة وتحسسها. كان إدواردو رئيس عماله ينظر إليه، فشعر نيك فجأة بأنه يريد أن يكون وحده.

قال له باقتضاب: «علينا الانتظار عدة أيام قبل قطاف هذه الثمار. أراك لاحقاً لنفحص باقي الزرع»

فهم أدواردو التلميح فأومأ ثم سار مبتعداً فتنفس نيك الصعداء. فرأسه في حالة تشابك والأفكار تتزاحم فيه منذ ليلة الأمس. مادي هي أول امرأة ينام معها طوال الليل، فقد كان جسمه يلتف عليها وكأنه يكره أن يدعها تبتعد. ولعل هذا أكثر

www.elromancia.com

سبب اثار مشاعره ودفعه إلى حملها والعودة بها إلى غرفتها إذ أراد أن يضع فاصلاً بينهما.

إنه جائع إليها الآن أكثر من ذي قبل لاسيما بعدما تعرف إلى كل ذرة فيها. وهذه هي المرة الأولى التي يحدث له فيها ذلك، فعادة تزول رغبته إلى المرأة بسرعة.

ليلة أمس انحرف مسار كل شيء منذ اللحظة التي وقفت فيها مادي عن المائدة وبدأت بخلع المجوهرات والحذاء. وبعد ذلك.. البستان. وحتى الآن ما يزال نيك يتذكر الرعب الذي شعر به عندما عرف أن الذهاب إلى هناك هو نيتها كما أنه في الوقت نفسه شعر في أعماقه برغبة في نزع ذاك المظهر المؤدب الذي أصر أن تظهر عليه مادي وقت العشاء.

حينما رآها تقف بين تلك الأشجار في البستان ارتعب أكثر ولكنه شعر بأن هذا هو الصواب بعينه. وكأن لا مكان آخر يصلح، رغم كل شعوره بانكشاف مشاعره. ولكن كل شيء ذهب مع الريح ما إن بدأ بتقبيلها وما إن اكتشف براءتها.

ذابت أحشاءه في داخله. لقد كانت عذراء.. إنها له وحده..

لم ينتبه نيك إلى مدى ارتجاف يده حتى نظر اليها.. مازال يتذكر دموعها التي سكبتها عندما أخبرها عن والديه.. ذاك التقارب الذي أحيته من جديد، وبالقوة التي كان عليها في الماضي.

ينبغي أن يكون النوم مع مادي ليلة امس علاجاً ولكنه كان شيئاً مختلفاً. لقد برهن النوم معها كم هي خطرة عليه وكم هي

قادرة على اختراق كل دروعه كما حدث في الماضي حينما اندفع إلى البوح بمكنوناته.

وحتى عندما قالت له الأحداث من وجهة نظرها، لم يستطع أن يهضمها. إذ هدد ما أخبرته به كل شيء.

للحظات شعر نيك بالرعب يجتاحه وهذه عاطفة غريبة عنه. ولكن الشعور بالراحة طغى على أفكاره، فالعقد سيضع حدوداً لليلة الأمس وله أيضاً. والأهم أنه سيضع حدوداً حول مادي، مبقياً إياها على مسافة بعيدة عنه.

كانت مادي تعمل بشيء من الخدر وهذا ما يناسبها لأنه حجب عن ذاكرتها مؤقتاً أحداث ليلة أمس وعندما كانت بعض الصور المثيرة تعلق وتأبى أن تزول كانت تغلق عينيها وتبدأ التأمل بشيء آخر حتى تزول تلك الصور.

إنها وحيدة بالبيت من دون ماريا وهارنان الذي اتصلت به هاتفياً تطمئن عن ماريا فأخبرها بأنهم سيجرون لها عملية. طلبت مادي من هارنان أن يبقى مع ماريا طالما هي بحاجة إليه، وكان الأطباء قد حددوا العملية الأسبوع القادم.

كانت تشعر بالضجر ولم تكن تنتظر بشوق زيارة نيك المنتصر جالباً العقد. قررت مادي أن تتحقق من الأقبية فهي بحاجة لإجراء جردة لبعض الأشياء التي تحتاجها. لا شك أن نيك يتوقع أن تكون جاهزة عندما يصبح تمويله متوفراً وستصبح علاقتهما عندئذ علاقة مهنية بحتة.

عندما تذكرت ما شعرت به بين ذراعي نيك في الليلة

الماضية في البستان، قالت لنفسها إن سبب تأجج مشاعرها عائد إلى أنه أول شخص تنام معه.

أجبرت مادي نفسها على إزاحة نيك عن تفكيرها والتركيز على وضع ملاحظاتها. وكان أن مرّ وقت أطول مما توقعت.

ثم.. سمعت صوتاً غاضباً يناديها: «مادي»

رغبت مادي في الاختباء هنا كما كانت تفعل هي وأخوها عندما كانا صغيرين ولكنها هزت كتفيها ونادت: «أنا هنا تحت»

سمعته قبل أن تراه وشعرت بجسمها يتذكره فعضت شفتها محاولة عدم التذكر. ومن ثم رأته مرتدياً تيشرت وجينزاً وكان يبدو رائعاً فتحركت مشاعرها.

لم تستطع مادي التفوه بكلمة ولكن ما كان لدى نيك من كلام كان كافياً لهما معاً. خطا نحوها وعيناه ملؤهما الانزعاج: «كيف بحق الله بإمكان أي شخص إيجادك؟ لماذا لا تحملين هاتفاً خليوياً؟ قد تكونين في أي مكان من المزرعة...»

قطع كلامه واقترب منها وامض العينين ولكنها ويا للأسف شعرت بالانفعال بحيث كادت تبكي.

ـ أنا هنا كما ترى.

حاول نيك أن يتمالك أعصابه وتوتره: «لم أستطع إيجادك. بحثت عنك في كل ارجاء المزرعة.. إذا وقع لك شيء؟ إذا التوى كاحلك أو أي شيء من هذا...»

توقف قليلاً ومن ثم شتم قائلاً: «اريد أن أعرف أين أنت»

وثب قلب مادي الخائن بين جنبيها «أريد أن أعرف أين أنت» ولكنها سارعت تطرد عنها هذه المشاعر.

خطت خطوة إلى الوراء: «لا تدعي أنك مهتم فعلياً.. فأنت لم تتنازل حتى أن تخبرني بنفسك عن مجيئك إلى منزلي.. هل جلبت العقد؟»

شحب وجهه ولكن لم يلبث أن عاد اللون إليه. لقد فاجأه رد فعلها ولكنه استطاع أن يضبط نفسه.

ـ نعم، جلبته وهو فوق.

ترك نيك مادي تتقدمه خارجة من القبو واستفاد من الفرصة ليضبط أعصابه. فكل ما كان قرره وأكده لنفسه اندثر عندما جاء ولم يجد لها أثراً. فالرعب قبض عليه بقسوة وتصورها مرمية في مكان ما، عاجزة، مصابة.

وعندما وجدها، غمر الشعور بالراحة قلبه.

في الوقت الذي وصلا فيه إلى مكتب والدها، كان نيك قد تمالك نفسه كلياً.. راقبها وهي تجلس إلى المكتب، تسحب العقد. ألقت عليه نظرة مختصرة ورفعت نظرها إلى نيك بتلك النظرة الباردة، فغلى الدم في عروقه. وتعرض لهجوم عنيف من رغبته. إنه يريدها من جديد.. والآن فوراً.

ـ لن يعود هارنان قبل عدة أيام. وعلي الانتظار حتى يعود وننتهي من توقيع العقد.

رأى نيك مادي تبلع ريقها.. واللون الوردي راح يقتحم وجنتيها.. جيد.. إنها ليست باردة كما تحاول التظاهر.

سحب نيك اهتمامه عن مادي: «سألت عن ماريا. إنها تتلقى أفضل العناية الطبية. والطبيب يقول إنها إجراءات روتينية قبل العملية..»

قالت مادي: «عظيم جداً.. ولكن علينا تأجيل التوقيع حتى عودة هارنان. لا يمكنني إزعاجه الآن»

شعر نيك براحة عامرة تتدفق في شرايينه، فهذا يعني أنه سيرجئ تنفيذ العقد. فجأة كره ذلك العقد اللعين. وابعد عنه ذاك الرعب الذي شعر به في ذلك الصباح فكل ما يريده هو مادي.

لم تعجبها النظرة التي رانت على وجه نيك وهو يقترب من المكتب المصنوع من خشب السنديان.. وضع يديه على المكتب وقال: «هذا يناسبني كثيراً. ولكن حتى توقيع العقد، هذا لن ينتهي بيننا»

بلعت مادي ريقها فكل الادعاء بعدم المبالاة انمحى: «ما الذي لم ينته؟»

دار نيك حول المكتب وسحب مادي عن المقعد لتقف قريبة منه.

ـ هذا!

ولف ذراعيه حولها وسحبها إليه بحيث التصق قدها بجسمه. شدّت مادي على قبضتيها ولكن فم نيك نزل إلى فكها طابعاً قبلات خفيفة عليه وعلى عنقها وصولاً إلى النبض الذي كان يخفق بجنون.

تأوهت مادي بضعف: «نيك، لا»

وكان جواب نيك أن حملها بين ذراعيه فصرخت. ولكنه نظر إليها: «أين غرفتك؟»

كانت مادي ممزقة، لا تكاد تجد أنفاسها وكان جسمها كله

يتحرق شوقاً إلى هذا الرجل. إنها تعرف أن هناك ألف سبب وسبب يدفعها إلى رفضه ولكنها في تلك اللحظة كانت ضعيفة وكأنها في حلم. فهناك رقة بينهما لأول مرة.

كان وجه نيك متجهماً ولكن الحرارة في عينيه سحرتها. وكرهت نفسها على ضعفها.

وعندما وضعها نيك على سرير غرفتها المزدوج انمحى كل شيء: الماضي والحاضر والمستقبل. فهناك الآن فقط وشعرت في هذه اللحظة بالراحة لأنها لم توقع العقد. فحتى توقيعه ستكون امرأة حرة لا يأسرها عرفان الجميل.

عندما استيقظت مادي في وقت متأخر، كان الظلام يعم الدنيا، وكانت وحدها في الفراش وسرعان ما تذكرت ما حدث. فبعد دقائق على رؤيته وقعا في أذرع بعضهما. وهذا ما لم يكن جزءاً من الخطة. لقد أراد منها ليلة واحدة فقط ومن ثم توقيع العقد. ولكنها تذكرت أنها لم توقع العقد. غمرها الشعور بالراحة ولكن هذا شيء مؤقت إذ قريباً سيتم التوقيع وكل شيء سيتغير.

توترت عندما سمعت صوتاً يأتيها من تحت. فالمطبخ يقع تحت، بعيداً طابقين عن هنا ومع ذلك أحياناً قد يصل الصوت منه. نهضت من الفراش وسحبت التيشرت والجينز وسوّت شعرها قليلاً.

توجهت ببطء إلى الأسفل وهناك سمعت صفيراً. توقفت أمام الباب وونظرت مندهشة وهي ترى نيك.

انتبه لها فتوقف عن الصفير: «كيف تحبين أن تكون حصتك منه مع الكريما والشوكولا أو الفريز؟»

دخلت مادي مستغربة فسألته: «من أين جلبت هذا؟»

رد: «خرجت»

نظرت إليه مادي مدهوشة: «كم الساعة؟ كم ساعة نمت؟»

ألقى نيك نظرة على ساعته: «إنها التاسعة مساء. لقد نمت أربع ساعات»

شحبت مادي: «كان عليك إيقاظي»

وأشاحت بصرها عنه غير راغبة في أن يقرأ تعابيرها وعينيها فيعرف أنها مسرورة لأنه ما يزال هنا.

قال نيك: «بدوت نائمة بهدوء وسلام كبيرين».

ما كان نيك يفكر فيه هو انزعاجه من رغبته العميقة في أن يرى علامات التعب حول عيني مادي زائلة. عندما استيقظ احتاج إلى كل ضبط النفس لئلا يوقظها بقبلة ويشدها إلى جسمه المتصلب.

نزل إلى تحت وعندما رأى الوضع المزري الذي يبدو عليه المطبخ شعر بالذنب فخرج للتسوق لأول مرة منذ سنوات. وحينما كان يتسوق شعر لأسباب مجهولة بالسرور.

لأنه لم يبرم العقد مع مادي، وجد نيك أن حاجزاً قد أزيل من دربه. إذ بإمكانهما أن يستمرا بالعلاقة. وهو متأكد أنه بعد عدة ليالي سيشعر بالملل منها فهذه هي حاله مع أي امرأة عاشرها سابقاً.

اشتد فك نيك لأنه يعرف أن جوعه إلى مادي يصبح أشد

وأقوى حتى الآن. فهو قادر على أن يشم امتزاج رائحتهما في الهواء وهذه أذكى رائحة بالنسبة إليه.

جلست مادي تراقبه وهو يعدّ البانكايك. لقد حضر حتى الآن ست قطع. فضحكت: «كم شخصاً قادم للعشاء؟»

نظرت إليه فشعرت بأن حدة نظرته تخترقها. ابتسم وقال: «أنا معتاد على إعداد كميات كبيرة من الكايك»

رأته يمسك وعاء فيه الشوكولا ويضع منه على واحدة ويمسك وعاء آخر فيه الكريما.

ـ أريدها بالكريما والفريز.

وضع قطعة الكايك التي بين يديه: «ربما تجربين تذوق هذه لاحقاً»

ـ نيك ما هذا؟ ماذا سنفعل؟

أغمض نيك عينيه للحظة وكأن ذلك سيساعده على طرد صوت مادي المبحوح وهي تسأله ذلك قبل قليل. كان يرتدي سرواله وقميصه فرآها تتكئ على كوعها وتبدو متوردة ومشعثة بشكل ممتع.

على من يضحك؟ فحتى وهو في الجيب ما يزال يشعر بالرغبة والشوق إليها.

لقد مضت ثلاثة أيام بلياليها حتى الآن وفي كل يوم يذهب إلى مزرعة مادي للتحدث معها عما يريده من أجل المزرعة ولكنه ما إن يراها حتى ينتهي بهما الأمر في الفراش. فالرغبة بينهما لا يمكن إشباعها.

www.elromancia.com

اللعنة، اللعنة، اللعنة، اللعنة. ضرب بقبضته على مقود الجيب.

كانت مادي تجري في شرايينه ودمه. إنها في مكان لم تستطع اي امرأة أن تصل إليه. فمنذ ذاك الأسبوع في البستان الذي تقربت فيه مادي منه وسمح لنفسه للمرة الأولى في حياته بأن يقترب منه أحد إلى هذا الحد، أبعد قلبه عن كل النساء فقد تعلم درسه جيداً جداً.

مع إنه يعرف أن عليه أن يدرس من جديد كل ما حدث منذ ثماني سنوات. لقد كانت مادي بريئة وغير واعية لمدى قوتها. إن المشاعر التي ولدتها فيه ما تزال حية حتى اليوم.

عادت كلماتها إلى رأسه بإلحاح: «نيك ما هذا؟ ماذا سنفعل؟»

عاد إلى مادي في الفراش وأخذ وجهها بين يديه وطبع قبلة على شفتيها وكان يعرف أنهما وصلا إلى نقطة اللاعودة: «حتى نوقع العقد هذا ما سنفعله»

- ومن ثم ينتهي كل شيء، هكذا ببساطة.

نظر نيك إلى هاتين العينين ورأى فيهما شيئاً ما وتّره بعمق من الداخل. إنه انعكاس لنفسه وهو صغير. ولكنه لا يستطيع العودة إلى هناك، ليس بعد الآن.

تكلم وهو يشعر بضيق كبير في صدره: «لا يمكن أن يكون بيننا شيء آخر، هذا إذا كنت تريدين الاستثمار»

شحب وجه مادي ولكنها نظرت إليه نظرة باردة: «أريد فقط أن أتأكد من عدم وجود أي لبس»

فجأة شعر نيك بالغضب من برودتها. فانحنى فوقها وطبع قبلة على شفتيها وكان أن شعر بالرضا عندما رآها تتأوه كاشفة بذلك عن افتقارها إلى التحكم بعواطفها.

وقف وقال: «أعود لاحقاً. لأناقش معك بعض مسائل العمل»

قالت مادي بنبرة تحد واضحة: «أنا ذاهبة لأزور ماريا بعد ظهر اليوم. فعمليتها غداً»

- حسناً سآتي ونذهب معاً بعدما نناقش بعض الأعمال.

كان نيك يعرف جيداً أنه حالما تجري ماريا العملية وتبدأ بالتعافي حتى يعود هارنان إلى فيلاروزا ليلقي نظرة على العقد وعندئذ ستوقع مادي وهذا الذي بينهما سينتهي.

10 ـ إلى أين تهربين؟

شعرت مادي بذبذبات في جيب جينزها، فسحبت من جيبها الهاتف الخليوي الذي أعطاها إياه نيك، وعبست قبل أن تجيب.

كل ما سمعته هو صوت استبدادي: «أين أنت؟» وسرعان ما ذاب شيء في داخلها وتدفق الدم إلى عروقها.

ـ أنا في الأقبية.

أنهت الاتصال وهي ترتجف. والواقع أنها على هذه الحال منذ أن أخبرها ذاك الصباح أن هذه العلاقة باقية طالما لم يتم توقيع العقد وبعد التوقيع ستقتصر علاقتهما على الأعمال فقط. ولكنها بالتأكيد ليست على تلك الدرجة من البساطة لتعتقد شيئاً آخر.

على مادي أن تعترف أنه من أجل سلامة عقلها يجب أن تكون ممنونة، فبينهما تاريخ حافل. قد لا يكون الثأر قائماً حالياً بينهما ولكنه خلق فوضى عارمة في حياتهما لا يمكن شفاءها.

وكادت تخرج من جلدها عندما سمعت صوتاً ناعماً يقول: «انتبهي لئلا تقعي»

التفتت مادي إليه وهو يمشي في الممر. لقد كانت غارقة

بحيث لم تسمع صوت الجيب أو تشعر باقترابه. التفتت بعيداً خائفة من أن يكون قد رأى المشاعر في وجهها.

ـ لقد وقعت مرة عندما كنت في التاسعة.

ـ وكيف حدث ذلك؟

ضحكت مادي: «كنت العب الغميضة مع أخي ألفارو. كان هارنان هنا يعمل حين وقعت. من حسن حظي أن هارنان كان موجوداً فساعدني وأخذني إلى المنزل حيث ساعدتني ماريا على تنظيف نفسي بدون علم أبي. فلو عرف والدي لحبسني في غرفتي أسبوعاً بدون طعام»

سألها نيك بصوت مشدود: «وهل كان يفعل ذلك غالباً؟»

غرقت مادي في التفكير: «أحياناً.. إذا أغضبه شيء.. وقد زاد الأمر بعد موت ألفارو. كان رجلاً غضوباً ولعل سبب غضبه عائد إلى أن لديه فتاة لا حول لها ولا قوة. فكيف يورثها أعماله؟»

ـ هذه الأقبية بحاجة إلى تجديد. تعالي نناقش الأمر.

تبعت مادي نيك إلى مكان مستو من الأرض وراحت تتناقش معه عما عليهما أن يفعلاه لتحسين الوضع.. وعندما كانا متوجهين إلى المستشفى كانت تشعر بأنها أكثر تحكماً بأعصابها.

ولكن ذاك التحكم بأعصابها اهتز عندما رأت اهتمام نيك بماريا وإصراره على تلقيها أفضل عناية طبية. لقد ذهب بعيداً في الاهتمام بأناس ليسوا موظفين عنده.

في طريق العودة إلى فيلاروزا، لاذت مادي بالصمت. وفيما

هما على الطريق فاجأها سؤال طرحه نيك عليها: «ما الذي غيّر رأي أبيك؟»

قالت وهي نصف غائبة عن الواقع: «ماذا؟»

ـ لقد رماك أنت وأمك وأدار ظهره لكما. فلماذا عاد فجأة وترك لك كل شيء؟

توترت مادي في مقعدها فنظر إليها نيك. لم تستطع للحظات طويلة النطق فكل ما كانت تفكر فيه ذاك الوقت الرهيب وتلك الحقيقة الفظيعة. قبضت المشاعر والانفعالات على خناقها: «أوقف السيارة رجاء»

تقدم نيك قليلاً حتى وجد مكاناً مناسباً ليركن السيارة. وما إن توقف حتى ترجلت مادي من السيارة متألمة والثقل يرزح على قلبها.

ترجل هو أيضاً وأمسكها من كتفيها: «مادي ما الأمر؟»

شعر نيك بها ترتجف. كانت شاحبة وعيناها مغرورقتان بالخوف والرعب. لقد سبق أن نظرت إليه بهذه النظرة وقد أجفلت بهذه الطريقة عندما لمسها.

قالت بصوت ثقيل: «هناك شيء.. لا تعرفه. شيء حدث بعدما قبضوا علينا»

دارت تواجه المنظر المترامي أمامها. كانا الوحيدين الموجودين هناك وكان الهدوء مطبقاً.

شعر نيك بأن أحشاءه تنقبض والتوتر يزداد. فقال بصوت مشدود: «ما الذي لم أعرفه؟»

حدقت مادي إلى المنظر أمامها وهي لا تراه فقالت بصوت منخفض: «لم أرد أن أخبرك»

شعرت به يضع يده على كتفها مجدداً ويسحبها إليه لتواجهه. ومن ثم أنزل يده وكأنه يكره أن يلمسها. ولكن مادي شعرت بأنها تدين له بشرح كامل عما جرى.

ـ تخبرينني بماذا؟

ظل جزء منها يقاوم: «أنا لم أخبرك ذلك لأنني في البداية لم استطع... وبعد ذلك لم أرد لك أن تسمم الحقيقة عقلك كما سممت عقلي».

هزّ نيك رأسه وعليه تبدو الحيرة والتشوش: «مادي لن نذهب من هنا حتى تخبرينني بكل شيء»

شعرت مادي بالضعف فجأة وجلست على جدار منخفض. كانت يداه في جيبيه وراح ينظر إليها.

بدأت تقول بصوت متردد: «لم أخبرك بكل ما حدث عندما عدت إلى منزلي.. بعدما تم القبض علينا وقع بيني وبين أمي شجار كبير..»

اخرج نيك يديه من جيبه وعقدهما حول ذراعيه: «أكملي»

ـ طلبت مني عدم رؤيتك من جديد فقلت لها إني لن أفعل (نظرت إليه ومن ثم قالت بعذوبة) أردت أن اراك مجدداً. ولكنها عندئذ راحت تخبرني عن علاقتها بوالدك. لم أعرف ما علاقة ذلك بنا فحاولت أن أخرج من الغرفة ومن ثمّ أخبرتني شيئاً...»

ظلت تنظر إليه ومن ثم أخبرته بكل ما قالته لها أمها...

ـ لهذا لم أستطع رؤيتك مجدداً... وكان والدي قد سمع كل كلمة...

شعر نيك وكأن أحدهم لكمه في أحشائه. فنظر إلى مادي بغباء، ومن ثم شعر بالغثيان..

رأت مادي رد فعل نيك على وجهه: «عندما ذهبنا إلى بوينس أيريس وافقت أمي على إجراء فحص الـ DNA. أعطاها والدي عينة منه بشرط ألا تحصل مقابل ذلك على أي فلس منه عند الطلاق. أجريت الفحص وتبين أني... ابنته. وبالتأكيد كان الوقت قد تأخر كثيراً على إخبارك فأشياء كثيرة حدثت... كنت تحت وقع الصدمة...»

توقفت مادي عن الكلام وبلعت ريقها بألم: «ارسلت رسالة إلى والدي أخبره بالنتيجة ولكنني لم أتلق منه رداً إلا قبل وفاته بقليل».

بدأ اللون يعود إلى وجه نيك. وفك ذراعيه وراح يمرر يده في شعره ولم يستطع النظر في عينيها.

ـ يا إلهي يا مادي!

ووقف أمام الجدار المنخفض ناظراً إلى المشهد أمامه.

شعرت مادي بالشيء ذاته ولم تستطع النظر إليه. عضت على شفتها بقسوة حتى كادت تشعر بطعم الدم: «ذاك اليوم لم أدرك أني كنت أتوجه إلى البستان حتى وصلت إلى هناك.. لذلك عندما رأيتك جاءت ردة فعلي بتلك الطريقة. فكيف يمكنني أن أخبرك بما قالته أمي؟ كان الخبر مرعباً..»

قال نيك بصوت متجهم: «لا شك أن والدك أخبر أمي بهذا

ولعل هذا هو السبب الذي جعلها تقدم على تلك الخطوة الجهنمية»

هزت مادي رأسها: «أظن ذلك وأنا آسفة حقاً»

ـ حباً بالله مادي، إنها ليست غلطتك أنت!

جعلتها نبرة صوته المقتضبة تجفل فقد كتمت الحقيقة لوقت طويل.. شعرت بالرجفة تبدأ من ساقيها صعوداً إلى كل جسمها.

ـ آسفة لم يكن علي إخبارك بهذا.

أطلق نيك لعنة وارتدّ إليها وسحبها إلى ذراعيه يشدها إلى صدره. ما زالت الرجفة تجتاح جسمها فراح نيك يمسد ظهرها بيده وشعرها. وبعد لحظة طويلة انسحب واضعاً يديه على كتفيها ونظر إليها: «يسرني أنك أخبرتني بالحقيقة»

ظل ينظر إليها حتى هزّت رأسها على مضض. ومن ثمّ أخذ بيدها ومشى معها إلى الجيب حيث وضعها على المقعد الأمامي قربه وكأنها طفل صغير، رابطاً الحزام حول خصرها.

كان وجهه متجهماً وهو يقود الجيب عائداً إلى فيلا روزا. ولكنها فجأة رأته يستدير في طريق مختلف فسألته: «إلى أين نحن ذاهبان؟»

نظر إليها: «ستأتين معي إلى بيتي الليلة»

بدأت الحرارة التي كانت تشعر بها تتحول الى خدر حسي. وشعرت وكأن هناك تحولاً وقع بينهما ما إن أخبرته الحقيقة السوداء، فعندما لمسها الآن كانت لمسته عذرية. لعله لن يرغب فيها مجدداً.. لعل ما أخبرته به كان سمّاً.

رجعا إلى منزل نيك. وبدون أن يتفوه بكلمة أمسك يدها

www.elromancia.com

وأخذها إلى غرفته وهناك حرر يدها. كانت تشعر بشكل غريب بالتشوش وعدم الأمان. فهذه الغرفة تعيد إليها ذكريات أخرى: «ماذا نفعل هنا» وكانت خجلى من نفسها كثيراً بسبب شدة رغبتها فيه.

اقترب منها ووقف أمامها تماماً: «علينا أن نظهر الآن وهنا كل تلك الشياطين».

خفق قلب مادي بقوة: «ماذا تقصد؟ كيف؟»

أمسك وجهها بين يديه والتصق بها أكثر بحيث شعرت بجسمه:

ـ هكذا.

ومن ثم قبلها ولكنها كانت قبلة مختلفة عن أي قبلة أخرى. وقد ذكرتها بتلك القبلة التي حدثت في المرة الأولى وذكرتها بشدة رغبتها التي كانت تشعر بها بعد أسبوع من تنامي التوتر في داخلها..

كان الأمر وكأن الماضي والحاضر امتزجا وإذا بمادي تجد نفسها على السرير مع نيك وهو يقول بصوت ثابت: «لم أنس قط مذاقك في ذاك اليوم، رقة بشرتك، جمالك... كدت أغرق بعبيرك...»

كانت علاقة مختلفة عن كل علاقتهما الأخرى ليس فيها حواجز بل انفتاح على بعضهما لم يكن موجوداً منذ التقيا من جديد..

استيقظت مادي ونظرت إلى نيك. كان أكثر استرخاء وهو نائم، فهو غالباً ما يكون مسيطراً على نفسه كثيراً. تخبّط قلبها

بين جنبيها وفجأة تاقت إلى الوقت الذي ستراه فيه مسترخياً، مبتسماً و.. ضاحكاً. لعله قد يكون على هذه الحال لو كان مع امرأة أخرى وليس معها. من قبل كان رقيقاً في التعامل معها وكانت ترى رقته هذه في عينيه ممتزجة مع الأمل ولكنها السبب وراء استبدال الرقة والأمل بالنقد. عندما تفكر كيف كان من قبل وكيف أصبح الآن، تدرك إلى أي درجة أثر رفضها إياه فيه وكيف حفر عميقاً في نفسه بحيث لم يعد قادراً على المسامحة.

لم ترد مادي انتظار نيك حتى يستيقظ فترى ردة فعله عندما يراها. تعرف أنه بالأمس تغيّر شيء ما. لقد تجاوزا الحد. إن هذه العلاقة هي علاقة ملؤها الرغبة وتسجيل الأهداف.. والعقد سيكون اشبه بإرجاء تنفيذ. وقريباً سيتم توقيعه وعندئذ سيبعدها نيك إلى خارج حياته.

على مادي أن تواجه ما فعلت.. فقد اتخذت من العقد حجة لأنها الطريقة الوحيدة التي تجعلها تنام معه. وهو ما كان ليقدم على إقامة علاقة معها لولا العقد. وما كان ليتنازل ويغويها من أجل الرغبة فقط.

ينبغي عليها الآن أن تخرج قبل أن تنسى وتبدأ بزرع بذور الأمل. فلو التقيا في ظروف مختلفة ولولا وجود الماضي بينهما لتغيرت الأمور.

الواقع أن نيك وضع يده على أكثر شيء يريده، وضع يده على مزرعة ماركيز.. في النهاية حصل على الانتقام الذي يريد.

عندما استيقظ نيك كانت الشمس في كبد السماء وشعر

بالنشوش، فالسرير قربه خال. أغلق عينيه.. شاعراً براحة ممتزجة بالحلو والمر.

آخر شيء يذكره أنه استيقظ ليلاً ووجد مادي رقيقة، وطيعة بين ذراعيه بشكل جذاب جداً. فشعر بالرغبة فيها من جديد وكاد يوقظها ولكنه منع نفسه وضمها إليه من الوراء بهدوء.

دار رأسه من جديد وهو يفكر في ما أخبرته به مادي. لقد تصرف بعفوية وجلبها إلى بيته ليطرد شبح تلك الكلمات الرهيبة. وعندما تذكر في هذه اللحظات علاقتهما في الليل شعر بالدوار علماً أنه ما يزال مستلقياً على السرير.

ما كشفته مادي عن الماضي أصعب من أن يهضمه. لم يعد لديه أي دفاع ضدها أو شيء يختبئ وراءه. والواقع أن وقوعها تحت رزء تلك المعرفة جعله يشعر بالمرض.

لقد أرادت رؤيته مجدداً. ولو لم تخبرها أمها بذاك الشك الرهيب لاختلفت الأمور كلياً. تصبب العرق منه وكأنه متمدد هناك يتأمل كم كانت الأمور لتكون مختلفة في ذاك الوقت والآن.

إنه يدور في حلقة مفرغة مع مادي. لقد وصلا إلى الحقيقة. بإمكانه الآن أن يسامحها ويمضي في حياته. سيستثمر أرضها ويساندها حتى تقف على قدميها من جديد، وذلك سيكون كافياً. فهو ببساطة لا يظن أن هناك بديلاً، لأن ذلك يعني تحدي جدران الدفاع التي احتاج إلى وجودها لمدة زمنية طويلة. احتاجها ليحمي نفسه من قسوة والده وقلق والدته وهجر مادي له.

كان مفهوم الحب غريباً بالنسبة له حتى التقى مادي. ومن ثم أصبح هذا المفهوم مشوّهاً وذبُل داخل نفسه بعد كلماتها القاسية ورفضها إياه. مع إنه الآن بات يعرف الحقيقة إلا أنه لم يعد بالإمكان إبطال الأذى الذي وقع. ومادي ملتصقة بكل ذلك لذا لا يمكنها أن تكون جزءاً من مستقبله.

شعر بعضلاته تؤلمه لمجرد التفكير في إبعادها إلى الماضي. نهض غاضباً من السرير واستحم بالماء البارد، مؤكداً لنفسه بأن بإمكانه أخيراً أن يمضي قدماً وذلك لا يمكن أن يحدث إلا إذا ترك مادي وراءه.

خرجت مادي من المستشفى تشعر بالتعب ولكنها كانت سعيدة في الوقت ذاته ثم.. خبت سعادتها ما إن رأت جيباً مألوفاً يدخل إلى الموقف. بدأت عن غير قصد بالسير بسرعة، حانية الرأس. ثم سمعته يناديها: «مادي» فقالت في نفسها «اللعنة»

التفتت إليه ببطء. فلم تكن مستعدة لمواجهة نيك بعد.. لقد مضى يومان منذ تركت فراشه ومنذ ذاك الوقت وهي لم تره أو تسمع عنه شيئاً. كانت الرسالة واضحة: حان الوقت للمضي قدماً.

وضعت على وجهها قناعاً من الهدوء والأدب. ولكنها لم تستطع أن تمنع قلبها عن الخفقان لمجرد وقوع نظرها عليه. تشنج قلبها وذراعاها انعقدتا على صدرها: «نيك»

ـ كيف حال ماريا؟.

ابتسمت مادي بسمة جافة: «ستتحسن صحتها بإذن الله. هي بحاجة للبقاء هنا بضعة أيام أخرى حتى تتعافى بعد العملية. إنهما ممنونان لك كثيراً»

لوّح نيك بيده: «لم افعل شيئاً»

انقبض صدر مادي: «أهناك شيء آخر تريده؟».

نظر إليها لفترة طويلة فشعرت بشعور بارد ينذر بالشر.

ـ في تلك الليلة.. لم نستعمل وسيلة منع حمل.

شعرت مادي بالبرد والحر فهي لم تفكر في ذلك حتى ولكنها ردت مهمهمة: «لا تخف. جاءتني اليوم»

نظر إليها بوجه متجهم: «عظيم....»

قالت راغبة في الهرب: «هارنان عائد إلى المزرعة غداً.. سيلقي نظرة على العقد وهذا يعني أني سأوقع عليه غداً، هذا إن وجد هارنان أن كل شيء على ما يرام»

لقد قرأت العقد وهو أكثر من عادل وأكثر من كريم.

أومأ نيك برأسه: «سآتي بنفسي لآخذه»

ـ وداعاً نيك.

وارتدت بسرعة على عقبيها وتوجهت مباشرة إلى جيبها وهي غاضبة من نفسها لأن عينيها تغرورقان بالدموع. تعرف أن ما تشعر به سخيف ولكنها في الوقت ذاته شعرت بأن كل شيء انتهى.

ـ مادي!

تعثرت خطوات مادي وتوقفت أنفاسها. حاولت أن تردع

بقوة الدموع وتحبسهما. التفتت إليه من جديد. ولكن نيك لم يتحرك وبدا وجهه قاسياً: «أنا آسف أن...»

رفعت مادي يدها وشعرت بالمرورة تصعد إلى حنجرتها: «لا تقل شيئاً نيك. لا تقل أي شيء فقط... ليس عليك قول أي شيء. كل شيء انتهى»

وارتدت على عقبيها نصف هاربة. لقد أرادا طريقة لإغلاق الصفحة القديمة وقد حصلا عليها. ومهما كان شعورهما في آخر ليلة، فهو لا يعدو أن يكون وهماً.

جلست مادي تنظر إلى العقد. إنه وقت الصباح.. البارحة ليلاً قرأت هي وهارنان العقد وقد وجدا أنه لا يمكنهما الحصول على عرض أفضل من هذا.

تعرف مادي أنه ليس لديها خيار إلا القبول بالعرض فهو سيؤمن معيشة هارنان وماريا وسيعيد للمزرعة تاريخها العريق وهي لا يمكنها أن تنكر أنها تريد للمزرعة الازدهار.

أمسكت مادي بقلب مثقل بالألم القلم ووقعت العقد. ولكنها وهي توقع كانت في الوقت ذاته توقع قدرها لأنها لن تستطيع البقاء هنا بعد الآن. لا تستطيع رفض العقد ولا تستطيع في الوقت ذاته الاستمرار في العيش هنا فهي لن تقوى على رؤيته كل يوم. لقد باعته روحها وقلبها وقد اتخذت من الاستثمار ذريعة للاختباء وراءه.

حاولت مادي أن تكتب ملاحظة لنيك ولكن ما أهمية ذلك. وفي النهاية استسلمت وكتبت ببساطة:

www.elromancia.com

«أنا أفوّض لهارنان كل الصلاحيات وأضع بين يديه صلاحية اتخاذ القرارات. إنه أفضل شخص يستلم هذه المهام.
مع تحياتي: مادي»

طوت الورقة ووضعتها على المغلف مرفقة إياها بملاحظة أخرى لهارنان. ومن... ثمّ تركت البيت.

شاهد نيك الفجر ينبلج راسماً بعيداً لوناً ورديا على جبال الأنديز. كان شعر ذقنه يحكه وكانت عيناه تلسعانه فهو لم يذق طعم النوم طوال الليل والواقع أنه لم ينم منذ أن استيقظ ووجد سريره خالياً في ذاك الصباح.

كان منظر الفجر دائماً يسحره ولكنه اليوم لم يعطه المشهد ذاك الشعور بالرضا. والواقع أنه منذ أسابيع مشغول البال، فاقداً الاهتمام بعمله. بالأمس مثلاً اضطر ادواردو أن يكرر كلامه ثلاث مرات قبل أن ينتبه إلى ما قاله وعندئذ زمجر به كدب حردان ولكن نيك اعتذر بالطبع فلم يحدث قط أن فقد أعصابه بهذا الشكل. والواقع أن القدرة على ضبط النفس التي بناها أعواماً وأعواماً بدأت تهجره.

ونيك يعرف اللحظة التي بدأت تهجره فيها القدرة على ضبط النفس. هذه اللحظة هي اللحظة التي رأى فيها مادي فاسكيز تدخل إلى الفندق. عندئذ عرف أن كل شيء تغير إلى غير رجعة.

فجأة، وهو يرى اللون الوردي ينشر خيوطه على جبال الأنديز، عرف نيك ما يعني ذلك وما عليه أن يفعله إذا أراد أن يستعيد رشده وسلامة عقله. فكل هذا: نضاله مع عائلته، صحته، لم يعودا يعنيان شيئاً الآن، لأنه منذ اللحظة التي رأى فيها مادي على صهوة جوادها منذ ثماني سنوات ولحق بها إلى البستان، تحكمت بقدره.

جعلته يثق بنفسه ومن ثم حطمته تحطيماً وأعادت تشكيله برفضها إياه. ولكنها الوحيدة القادرة على شفائه وعلى إعادة الثقة إليه من جديد. منذ عودتها إلى الديار بدأت تعود إلى حياته وتتغلغل فيها ولكنه حاول بكل ما أوتي من جهد أن يحارب. والألم كان تقريباً لا يطاق ولكنه الآن بات ألماً ضرورياً له كالتنفس.

لم يدرك نيك أنه في جيبه حتى وصل إلى بوابة منزل مادي. وأثناء قدومه لاحظ سيارة تاكسي تمشي على الطريق. حينما وصل إلى المنزل شعر بالصمت فعرف نيك بألم لماذا يشعر بهذا الشكل.

توجه فوراً إلى مكتب والد مادي فرأى الرسائل الموضوعة على العقد. ترك تلك الموجهة إلى هارنان جانباً وأخذ الموجهة إليه فراح يقرأها. وضع الملاحظة جانباً وأخذ أوراق العقد ونظر إلى الورقة الأخيرة حيث وضعت مادي توقيعها.

اجتاحته نوبة من الغضب العنيف فرمى العقد على الحائط فتبعثرت الأوراق في كل مكان. ارتد على عقبيه كالعاصفة وعيناه تومضان بوحشية.

* * *

وقفت مادي في صف الواقفين أمام قسم الجوازات تعدّ مالها. إنها تملك ما يكفي. عندما ستصل إلى بوينس أيريس ستحاول إقناع عمتها بتركها تمكث عندها مدة أسبوعين تحاول خلالهما البحث عن...

ـ تهربين يا مادي.

تجمد دماغ مادي للحظة، فالتفتت لترى نيك واقفاً هناك عاقد الذراعين على ذاك الصدر الواسع. ولكن نبرته الهادئة كانت على عكس نظراته المتوحشة: كان شعره أشعث وعيناه محتقنتين بالدم وذقنه نابتاً الشعر فيه. وكان يبدو، يبدو رائعاً بشكل لا يصدق.

عادت مادي بسرعة لتنظر إلى الصف أمامها محاولة إجبار نفسها على استرداد اللون الذي خرج من وجنتيها.

ـ لا أدري لماذا تتعب نفسك بتعقبي إلى هنا يا نيك. كما انني لا أهرب.

خطت مادي عدة خطوات إلى الأمام وترك نيك مسافة بينهما.

ـ هل تستغبيتني؟ ألا تدركين أنك تنسلين هاربة؟ يبدو أنك لا تهتمين كما تدّعين بمزرعتك.

احتدمت مادي غضباً: «أنت تعرف أن ما تقوله غير صحيح. فأنا أحب تلك المزرعة».

ـ إذن لماذا تغادرين؟

تورد وجه مادي فقد أدركت أن الأنظار موجهة إليهما.

خرجت من الصف مجبرة وابتعدت حتى لا يستطيع الناس

سماعهما. ومن ثم التفتت إلى نيك: «لا حاجة إلى أن أكون هناك حتى تستثمر المزرعة»

تجهم وجه نيك: «إنه جزء من الاتفاق بيننا»

ـ نيك أنا ذاهبة وليس بإمكانك أن تفعل شيئاً حتى تثنيني عن قراري.

همت بتعنت بالعودة إلى الصف ولكنها سمعته يقول من ورائها:

ـ وماذا لو قلت إنني لا أريد أن ترحلي ولا علاقة لذلك بالاستثمار.

توقفت مادي في أرضها وبدأت أنفاسها تصبح ثقيلة، ولكن منتبهة حتى إلى نظرات الناس المنصبة عليهما. يبدو أنها سمعته خطأ أو لعله لا يقصد ما تفكر فيه.

حاولت التقدم أكثرفسمعته يقول: «تباً يا مادي»

ومن ثم... أصبح أمامها زارعاً نفسه في طريقها. نظرت إليه فرأت الغضب يرقص على وجهه:

ـ نيك؟

ـ أنا لا أريدك أن تذهبي لأنني أدركت كم أنا محتاج إليك.

كانت يدا مادي تمسكان بإحكام بحقيبتها وكانت تظن أنه يتحدث عن الاستثمار:

ـ ولكن هارنان سيكون هناك وهو قادر على معالجة كل شيء

كاد نيك ينفجر: «أنا لا أتحدث عن الاستثمار ولا يهمني أصلاً. فما عرضت عرضي ذاك إلا لأني وجدتك عازمة على

www.elromancia.com

رمي نفسك كيفما كان وهذا ما كان سيعرضك للأذى. والعقد...»

توقف نيك عن الحديث ولعن بصوت عال معترفاً: «والعقد كان سبيلاً لأحصل عليك في سريري بدون الخوف من أن ترفضيني مجدداً»

هزّ رأسه ثم تابع: «رفضك إياي في ذاك اليوم فطر قلبي وأصبحت كمن أخرجوا قلبه من صدره. وبعد ذاك لم يعد يهمني شيء. لقد أغلقت الباب على نفسي ومشاعري»

كان بصر مادي ضبابياً بسبب الدمع. رفعت يدها إلى وجه نيك وأبقتها هناك راغبة في إعادة ثقته بها: «آه يا نيك.. أنا آسفة لأن ذلك حدث. آسفة لأن أمي سممت عقلي وآسفة لأنني لم أستطع أن أخبرك. لقد أردتك بجنون ووقعت في حبك أيضاً ولهذا لا تستطيع مسامحتي»

أنزلت مادي يدها مرغمة ورجعت إلى الوراء قليلاً: «لهذا السبب أنا أرحل لأنني غير قوية بما فيه الكفاية لأعيش على مقربة منك وأنا أحبك، فيما أنت تمضي في حياتك وكأني غير موجودة»

بدا نيك دائخاً قليلاً: «تحبينني؟ حتى الآن؟»

هزت مادي رأسها والدموع تغشي عينيها: «كنت دائماً في قلبي وعقلي. عندما عدت قلت لنفسي إني أكرهك لأنك كنت مستبداً جداً ولأنك جعلتني أعتقد أن ما حدث معنا قبل ثماني سنوات كان مجرد رغبة من قبلك. لقد وافقت على ذاك العقد الغبي لأنني فكرت بعض الشيء أنه الطريقة الوحيدة لتحصل علي...»

نظرت مادي إلى الأسفل ومسحت خديها المبللين. أحكمت إمساك حقيبتها وحاولت أن تلتف حول نيك ولكنه أمسك ذراعها بقبضة قوية.

لم تستطع النظر إليه حتى: «رجاء يا نيك... دعني أذهب. لا يمكنك منعي عن الذهاب. ليس الآن»

لم يصغ إليها بل أدارها إليه ورفع ذقنها. رأت مادي وجهه فانقطع قلبها عن الخفقان. بدا صغيراً خالية ملامحه من تلك الظلال المخيفة. ولاجت ابتسامة على زاويتي هاتين الشفتين الجميلتين فبدأ قلبها يخفق من جديد.

سألها نيك برقة: «ألم تسمعي كلمة مما قلت؟»

شعرت مادي بالتشوش فماذا قال؟

فجأة أخذ نيك حقيبتها ووضعها أرضاً وقبل أن تلتقط مادي أنفاسها، كان جاثياً على ركبتيه أمامها ممسكاً بيدها بين يديه.

نظر إليها بعينيه الزرقاوين نظرة عميقة: «مادي فاسكيز أنا أحبك. لقد كنت مفتوناً بك حتى قبل أن ألتقيك وعندما التقينا وقعت في حبك بعمق ولم أتوقف يوماً عن حبك رغم ما شعرت به من أذى وقد أدركت ذلك عندما عدت إلى الديار... أوهمت نفسي أني أكرهك وأني أريد الانتقام... ولكنني أردتك بجنون وأردت قلبك إنما كنت أجبن من أن أعترف بذلك»

سكتت مادي مذهولة فهي متأكدة أنها تحلم. والصف الذي كان الناس مصطفين فيه تفرق إذ التفّ الناس حولهما يراقبونهما.

ـ مادي فاسكيز هل تقبلين أن تتزوجينني؟ لا يمكنني المضي في حياتي إلا إذا عرفت أنك فيها. أريد أن ننجب أولاداً وأن

www.elromancia.com

نشيخ معاً، أن ندفن معاً الثأر القديم إلى الأبد. أنا أحبك.

بدأت دموع مادي تنهمر بغزارة وكانت عواطفها تزداد أكثر فأكثر بحيث باتت تهتز وترتجف. وقف نيك وضمها إلى حضنه يهدئ روعها. وأخيراً استطاعت تمالك نفسها فرفعت نظرها إليه فإذا به ما يزال ينظر إليها بحب وخوف. فما زالت ترى الخوف القديم في عينيه، الخوف من أن تتركه وتبتعد.

رفعت ذراعيها وطوقت عنقه.

طبعت قبلة مالحة على فمه وقالت متأوهة: «نعم سأتزوجك يا نيك ده روجاس. كيف يمكنني ان أفعل غير ذلك ما دمت أحبك كثيراً، كثيراً؟».

هتافات الناس جعلتها تدفن رأسها في صدر نيك ولكنها شعرت به يحملها ويخرج مزهواً إلى ضوء الشمس.

بعد عام

قال نيك: «لا، نحن متزوجان ولكن زوجتي تملك مزرعة باسمها لذا قررت أن تبقى باسم «فاسكيز». إنها امرأة عصرية»

تعلقت مادي بذراع نيك وحاربت لتخفي ضحكتها حتى ذهب الزوجان الطاعنان بالعمر. فسكان ماندوزا لا يستطيعون أن يستوعبوا عبارة شركة فاسكيز/ ده روجاس.

عندما ابتعد الزوجان ضحكت مادي عالياً ودفنت رأسها في صدره تخبئه فيه. كانت يده لطيفة على عنقها، تضغط برقة هناك. وأخيراً نظرت إليه بعدما جمعت نفسها، شاعرة بالدفء يسري في عظامها جراء لمسته التي تحولت إلى شيء حارأكثر.

ـ حسناً سنيور ده روجاس. هل تعلم أنها الذكرى السنوية الأولى؟

عبس نيك: «ولكننا تزوجنا منذ تسعة أشهر فقط»

نظرت مادي إلى قاعة فندق ميندوزا الفخمة وضغطت على يدها: «أقصد ذكرى لقائنا الأول، عندما عدنا والتقينا ثانية»

نظر نيك إلى نظرة زوجته الخضراء الصافية وشعر بصدره مشدوداً بشكل لا يطاق. لقد حدثت أمور كثيرة... تلك الليلة قبل سنة من الآن، عاد ورآها من جديد وما يزال يذكر أنه عندما رآها عند الباب، شعر بأن المتاعب قادمة.

ابتسم وأخذ يدها رافعاً إياها يطبع قبلة في راحة يدها. اظلمت عيناها واندفع الدم حارقاً إلى شرايينه، وكاد يتأوه بصوت عال. إنهما أشبه بمراهقين يعجزان عن السيطرة على رغباتهما. جاء صوته أجش وهو يقول: «ذكرى سنوية سعيدة يا حبي»

أدارت مادي وجهها إلى راحة يده فرفع نيك نظره ولعن برقة، متمنياً لو كانا وحدهما. شعر بمادي تتأوه على يده ونظرت إلى تحت. رأى نظرتها وشعر بيدها تقف بينهما، لتستقر على بطنها المنتفخة. لقد تأخرت ولادتها أسبوعين.

ـ هل تعتقد أن هذا الطفل سيولد أخيراً. إذا تأخرت ولادته أكثر سأحتاج إلى رافعة حتى أتنقل.

ابتسم نيك ابتسامة وحشية ولفّ يديه حولها يقربها منه: «أفكر في طريقة تجعله يندفع خارجاً..»

ذاب قلب مادي وهي ترى نظرة نيك. السنة الماضية كانت

حلماً. لقد أحبت هذا الرجل أكثر مما سمحت لنفسها بذلك.

سألته مادي: «هل بإمكاننا الذهاب؟ الآن؟»

طبع قبلة على فمها: «يمكننا أن نفعل ما نريد»

ـ ولكن ماذا عن الخطبة التي ستلقيها؟

راحت عيناه تجولان في المكان ورأته يتشارك مع إدواردو النظرات. وعادت نظرته إلى مادي: «سيهتم إدواردو بالأمر. هذا...» ووضع يده على بطنها بتملك: «أنت، نحن... لا شيء أهم من هذا»

في اليوم التالي في الساعة الخامسة من بعد الظهر رحب مادي ونيك بضيفهما الصغير ألفارو.

كانت مادي مرهقة ولكن سعيدة. نظرت إلى نيك وهو يحمل طفله ويبتسم مسروراً: «يبدو أن طريقتي نجحت في مساعدتك على الخروج إلى هذه الحياة»

ونظر إلى زوجته: «في المرة القادمة سأبذل المزيد من الجهد»

تأوهت مادي: «إن ما أشعر به الآن يجعلني لا أرغب في مرة ثانية»

ضحك نيك، فسرّ مادي أن ترى اللون يعود إلى وجه نيك. لقد تألم وهو ينتظر أن تلد فأن يراها تتألم هكذا كان عذاباً حقيقياً له.

عاد إلى مادي وأعطاها ألفارو فأخذته وراحت ترضعه. انحنى نيك يهمس في أذنها: «لا تقلقي سيدة فاسكيز.. سأجعل

الأمر ممتعاً كثيراً في المرة القادمة بحيث لن تفكري للحظة بالألم»

نظرت مادي إلى نيك فرأت عيناه تظلمان وهو يرى ثديها مكشوفاً كهذا وطفله يرضع بقوة. شعرت مادي بشعور مألوف في جسمها، ليس بإمكان أي ألم أن يخففه.

تأوهت برقة فطبع نيك قبلة على عنقها ومن ثم ابتعد واضعاً إحدى يديه على رأس الطفل. وابتسم.

www.elromancia.com